

مجموعة نقشجم العلميّة
إصدراة رقم (٢٥)

الإبانة النورية

في شأن صاحب الطريقة الختمية

تأليف

خليفة الخلفاء أحمد بن أحمد
المشهور بابن إدريس الرباطابي



تأليف

خليفة الخلفاء أحمد بن أحمد
المشهور بابن إدريس الرباطابي

شوال ١٤٤٢هـ - يونيو ٢٠٢١م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com
أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة بدءاً وختماً، وصلَّى اللَّه على سيدنا محمدٍ، ذاتاً ووصفاً واسما

الحمد للَّه الكريم الفتاح، الهادي من يشاء من عباده للإبانة والإيضاح، والصلاة والسلام على السراج الوهّاج، الذي أزال به بعد العمى ظلمة العدم الداجي، محمد بن عبد ، قبضة النور الالهية، وسيد المرتبة الوجودية، وآله سفن النجاة أصحابه القادات الهداة، والتابعين لهم بإحسان من العلماء العاملين والأولياء الكمشل الدعاة، وجميع المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، آمين.

وبعد، فيقول العبد الفقير أسير الشهوات، ورهين الذنوب والزلات، الراجي من رحمة ربه، ببركة أستاذه الغوث القطب، السيد محمد الحسن الميرغني، والقطب الإمام الختم الميرغني، وجدهما رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ، نفحة من أعظم النفحات، أحمد الشهير بابن إدريس، ابن محمد النصيح، رق هذه الحضرة، وخادم أعتابها، وطفيلها الجاثي على كريم أبوابها، أنه قد تكرر الطلب من بعض أرباب الحكومة السنية، بمحافظة سواكن البهية، مشافهة المرة بعد المرة، عن الإبانة بشأن القطب الأعظم الإمام السيد محمد عثمان الميرغني المكي، ختم أعلى مقامات الولاية، صاحب الطريقة الختمية، وميزاب العلوم اللدنية، وذلك الطلب عن بيان أحواله وطريقته وذريته وغير ذلك، فأفيد عن ذلك بكلمات مختصرة مجملة، فلم يحصل منهم الاكتفاء بذلك، حتى ورد سؤال من قاضي الإسلام يومئذ بمحافظة سواكن، مولانا الشيخ إبراهيم عبد السميع، وكان السؤال المذكور في العشرة الأولى بعد الألف والثلاثمائة من هجرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وعرض أولاً ذلك السؤال على خليفة خلفاء الإمام الختم يومئذ بسواكن المذكورة، الخليفة محمد الصافي الملقب بهذا اللقب من الإمام المؤمى إليه، فطرح السؤال بين يدي

سادتنا المراغنة، ذرية الإمام الختم الميرغني، الموجودين يومئذ ببندر سواكن، وهما السيد محمد عثمان تاج السر بن السيد محمد سر الختم، والسيد علي بن السيد محمد عثمان، ابن القطب الغوث الجامع سيدي السيد محمد الحسن، وبعض من الخلفاء، فأتفق الحال على استحسان الإجابة عن هذا السؤال.

وصورة السؤال المذكور هي:

(المقصود ممن له إطلاع على تاريخ حياة الإمام الختم الميرغني من الخلفاء وغيرهم، أن يفيد بعبارات واضحة مسلسلة، عن بعض مفصلات تاريخه وأحواله وبداية نشأته وتربيته، بأن يبدأ أولاً بتاريخ ميلاده، والبلد الذي ولد به، والأحوال التي تربى فيها، ومن قام بتربيته، وكيفية سيرته في منازل التربية، إلى أن قام بالإرشاد، وحضر إلى إقليم السودان، وتاريخ حضوره إليها، والبلدة التي حضر إليها أولاً، ومدة مكثه فيها، والوقائع والأحوال التي وقعت له فيها، وهكذا يذكر تنقله في بلاد السودان بلدة فبلدة، على الترتيب وإيضاح التاريخ، وبيان المدة والأزمنة التي لبثها في كل بلدة، إلى أن ينتهي الى آخر بلدة حضر إليها، ويوضح مع ذلك نبذة من أحواله الشخصية، مثل ملابسه، وأكله، وأخلاقه، وكراماته، وما أشبه ذلك، مضيفاً جميع ذلك إلى إيضاحات أخرى، مثل ذكر نسبه، وأفراد من تربوا على يده، ووصلوا إلى درجات الإرشاد، ثم ذكر أولاده وعددهم، لا سيما ولده السيد محمد الحسن، فيلزم إيضاح أحواله بالتفصيل على قدر الإمكان، مع إيضاح تارخ وفاتهم، والأماكن التي دفنوا فيها، ثم يتبع ذلك ذكر عدد تآليفه، وأسماء تلك المؤلفات واحداً بعد واحد، وعلومها التي ألفت فيها، ومقدار الأزمان التي استغرقها تأليف كل كتاب، وعلى الإجمال فالمقصود الإيضاح الكافي والبيان الشافي، عن تاريخ الإمام القطب الختم الميرغني، على الوجه المسطور) انتهى.

الجواب:

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَنِ ٱلرَّحِيمِ

(الحمد للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وبعد، فأقول مجيباً عن هذا السؤال، على غاية الايجاز والاختصار، مراعاة لحال الوقت، وقلة الفهم وضعف العزم، وشغل الجنان وكلل البيان، وما توفيقي إلا باللَّه، ومنه استمد العون والتوفيق، فإنه المعين لمن استعانه، والهادي لمن استهداه، إن الإمام الختم هو الغوث الفرد الجامع القطب الأعظم، الشريف الحسيني الحسني، السيد محمد عثمان الميرغني المكي، ختم أهل اللَّه، الملقب بذلك من حضرة رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، كما رويناه عن أستاذنا وولي نعمتنا، نجله ووارث سره ومكانته، الغوث الجامع القطب، سيدنا السيد محمد الحسن، خزانة سره وصاحب أمانته، ولنبين ذلك في اثنى عشر فصلاً، وقد سميت هذه الإجابة بـ [الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية]).

الفصل الأول: في مولده

(أ) ميلاده ونشأته وتعليمه:

ولد رضي اللَّه عنه وأرضاه بالطائف المعلوم، وتوفيت والدته قريباً من سابع ولادته، فرباه والده السيد محمد أبو بكر، إلى أن جاوز العشر سنين، ثم توفي والده، فتولاه عمه السيد يس، صنو والده من أبويه، وهو من أجلِّ العلماء الأعلام يومئذ ببلد الحرام، لا يختلف في دينه وعلمه وورعه وزهده اثنان، وكان عقيماً رضي اللَّه عنه، لا ولد له، فاتخذه ولداً، وعلّمه وأدّبه، وكان جلّ أخذه في علوم الظاهر منه، وله غيره مشائخ كثيرون ببلد الحرام، فأتقن علوم الظاهر، من النحو واللغة والفقه، والصرف والبيان، والحديث والتفسير، وغير ذلك، وعمره إذ ذاك ما بين الثلاث عشرة سنة، أو أربع عشرة سنة، فعلق قلبه بطريق أهل اللَّه قبل البلوغ، لما سبق له عند اللَّه من الحظ الأكبر والنصيب الأوفر.

(ب) تصوفه:

أخذ الطريقة النقشبندية أولاً على الشريف الشيخ أحمد بناه، ذي الأحوال السنية، فتنورت بصيرته، وحصلت له رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مناماً، ثم أخذها مع إجازة الشاذلية والقادرية عن العارف باللَّه تعالى، نزيل مكة المشرفة البهية، الشيخ سعيد العامودي، صاحب المقامات العلية، وحصل له منه إمدادات نورانية، فتنورت بصيرته على الكمال، وصارت تعتريه الفتوحات، ثم أخذ عنه أيضاً الطريقة القادرية وخدمها مدة، ثم أخذ عن الولي الكامل والقطب الواصل، مولانا السيد أحمد عبد الكريم الهندي، الجليل الفاضل، ووقع له على يده الفتوحات، ثم أخذها عن شيخه الأستاذ الأعظم، والملاذ الأفخم سيدي أحمد بن عبدالكريم الأزبكي، وأخذها قبله على مشائخ كثيرين كلهم بمكة المكرمة، وسبب أخذه عن السيد أحمد بن عبد الكريم الأزبكي

المذكور آنفاً، أنه رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه اللّه وسلّم ليلاً مناماً، قادماً من البيت الحرام، فوافاه السيد، وهو متوجه إلى البيت، فسلَّم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ورجع معه، فلما أصبح جاء متوجهاً إلى البيت، فلاقاه السيد المذكور في ذلك المكان، على الحالة التي رأى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ البارحة، فتيقن أنه من أولياء اللّه، فسلَّم عليه ورجع معه، وأخذ عليه الطريقة، وصحبه أياماً عديدة، فحصلت له على يده فتوحات، فدله السيد المذكور على شيخ إرشاده العارف باللّه النفيس، واحد عصره، سيدي السيد أحمد بن إدريس، وكان كما قال فيه الإمام: أنه على قدم الإتباع علماً وعملاً، وخلقاً وأدباً، غرة زمانه، وواحد دهره وأوانه، فلما دله عليه السيد المذكور، توجه إليه وأخذ عليه الطريق. وأخذه هذا عن سيدي أحمد بن إدريس، كان محتوياً على طريق النقشبندية، والقادرية، والشاذلية، والجنيدية، وغيرها، رويت أسانيدها منه كلها لنا على التفصيل، وصحبه أربع سنوات.

(ج) أدبه مع مشايخه:

سمعت ممن أثق به، أنه رضي اللّه عنه كان إذا دخل الحرم، مع سيدي أحمد يمشي خلفه، وإذا خاطبه أجابه غاضاً باسماً لإحترامه له، والحال أنه من أشرف بيت في مكة نسباً وديناً وحسباً، فبمثل هذه الإهانة للنفوس، دخلوا حضائر الملك القدوس، جعلنا اللّه من أهل شأنهم المأنوس.

(د) الفتح عليه صغيراً بأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ:

ثم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ أمر سيدي أحمد، بالفتح عليه، فقال له: يا رسول اللّه هو صغير، ثم أمره ثانياً بالفتح عليه، فقال: أنه صغير يا رسول اللّه، ثم أمره بالفتح عليه، وقال: (لا تخف عليه، فإنه محفوظ)، وكان قصد سيدي أحمد أن يسمع مثل هذه البشارة منه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، بالأمان له من عوائق الفتح وفتنته، فأخبر سيدي

أحمد الإمام، وقال له: يا أخانا عثمان، إن وقت فتحك قد آن، فاستعد وشد عزمك، وأجمع عليك عقلك لا يطير منك، ينبهه بذلك على قوة سلطان الفتح، وضعف البشرية عن تحمله، فاستعد كما أمره، فلما حلَّ أوانه، قال له: اتخذ لك محلاً مختصراً، وسدده من دخول ضوء الشمس والقمر والهواء، وأدخل فيه خلوة ثلاثة أيام، الأربعاء والخميس والجمعة، وأعطاه حزبي التجليات الإلهية، وهما على الأيام السبعة، لكل يوم سبع، ولم يظهرهما قبل ذلك لأحد إلا لهذا الإمام، فدخل بهما يوم الأربعاء، فلما حلَّ يوم الخميس حصل له الفتح، بعد صلاة الظهر، أثناء تلاوته في سبع يوم الخميس، فخرَّ مغشياً عليه إلى الغد من اليوم الثاني، بعد صلاة الظهر فأفاق، ولما سكنت أعضاؤه وتمالك حال نفسه، خرج متوجهاً إلى أستاذه، فلما رآه مقبلاً عليه ،قال له: يا أخانا عثمان إلى الآن، في مشاهدة الأكوان هاه. قال الإمام: فمن قوله هاه، اتصلت روحي بالدواوين الإلهية، وتحققت بالكمالات القرآنية، فكان بين فتحه وبلوغه درجة الكمال الأكبر ثلاثة أيام، فهكذا العناية وإلا فلا.

(هـ) سند طريقته:

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من الكلام في سند الإمام، القطب الأعظم الختم الميرغني: أن القطب سيدي أحمد بن إدريس أخذه عن القطب الغوث الجامع، سيدي عبد الوهاب التازي، وهو عن القطب الغوث الجامع، سيدي الشريف عبد العزيز الملقب بالدبَّاغ، وهو عن العبد الكريم على ربه، الذي آتاه رحمة من عنده، وعلَّمه من لدنه علماً، سيدي أبو العباس الخضر، عليه السلام، وهو عن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، عن رب العزة جلَّ جلاله، وقد أجازه كل من المذكورين بإسناده المتصل إلى سيد المرسلين، وأخذ بعض الطرق وعلوم الظاهر عن سادات علماء أماجد أفاخر، فمنهم مولانا الجامع بين الطريقتين، عبد الرحمن مفتي زبيد، وهو من خيار من سلك النهجين، ومنهم الشريف

الفقيه البركة الصالح التقي، عمه السيد يس الميرغني، وعن والده العارف ب تعالى، والدال على مولاه.

وسنده متصل بالغوث الفرد الجامع القطب، سيدي عبد الميرغني المحجوب، ومنهم القاضي المصطفى، وهو ممن فاز بسره، وأخذ عنه صحيح الإمام البخاري، ومنهم مشايخ كثيرون، ترك ذكرهم لاتصاله في السلوك، بالأخذ عن سيد كل غني وصعلوك.

(و) رحلته إلى الحبشة ورجوعه إلى مكة:

ثم أن القطب الأعظم الإمام الختم، قدس اللَّه سره، توجه إلى جهة الحبشة للدعاية إلى اللَّه تعالى، إلى أن وصل بلدة بالحبشة يقال لها بلغاء، فأخذ عليه خلق كثيرون، يقال لهم الجبرتة، أهل خير وبركة وصلاح، ثم أن ملك تلك البلدة من الحبشة، حسد الإمام وخشي على ملكه، لما رأى من هيبته، وعظم شأنه وإجلال الخلق له، وإتباعهم لأمره، فسقاه السم، فوقاه اللَّه شره ولم يضره، إلا بعد مدة من الزمان، أثر في بعض أسنانه، ورجع من تلك البلدة إلى مكة المكرمة، وجلس بها مدة، وكان بها سيدي أحمد بن إدريس.

(ز) رحلته إلى مصر:

ثم توجها معاً من مكة، إلى أرض الريف بإقليم مصر، وأقام بها مدة بقرية يقال الزينية.

(ح) رحلته للسودان:

ثم أن القطب الأعظم، الإمام الختم الميرغني، قدس اللَّه سره، توجه إلى بلاد السودان، وذلك قبل قدوم الدولة المصرية إليها، يدعو الخلق إلى اللَّه تعالى.

١- في المحس:

فلما دخل بلاد المحس، وكانت البلاد فوضى، تعرض له رجل شهير بها، قاطع طريق، وهو صاحب صولة وجموع من اللصوص، فنهب جميع ما معهم، وكان هذا اللص يجهل الإمام، ويظن أنه من التجار، أو من كبار المسافرين، الذين يمرون بتلك الجهات، إلى ناحية كردفان عادة، فيسطو عليهم في ذلك الوقت، الذي كانت فيه تلك البلاد في غاية الفوضى، وميداناً للصوص وقطاع الطرق والنهب والسلب، فتآمر اللصوص على خلع ثياب الإمام، كعادتهم في سلب المارة في تلك الجهات، مهما عظم شأنهم، فلما تقدم رئيس عصابة اللصوص إلى الإمام رضي اللَّه عنه، وقصد أخذ الثياب صاح به الإمام، فوقع مغشياً عليه ومات في وقته، وتفرقت جماعته هرباً، ولم يعودوا لبلادهم، فصارت خراباً بين البلدان إلى وقتنا هذا، وتركوا أمتعة الإمام ومن معه على حالها، ولم يأخذوا منها شيئاً.

٢- في دنقلا:

وتوجه الإمام القطب الختم إلى دنقلا، وقد سمعت من والدي وهو يحكي لأستاذه السيد محمد الحسن، أنه قال: يا سيدي، أني سألت الإمام نفسه عن هذه الواقعة، فقال لي: هي كما سمعت حقيقة، وما وقعت في كرب أشد منها عليَّ، وما استعملت الاسم الأعظم إلا ذلك اليوم.

٣- في كردفان:

ثم أن القطب الختم سافر، فلما وصل إلى بلدة يقال لها الدبة بدنقلا، طلع من هناك إلى بلاد كردفان في قافلة عظيمة، فأصاب القافلة ظمأ شديد، فلما اشتد بهم الكرب، أشار إليهم رجل حضرمي من تلاميذ الإمام، وقال لهم: لوذوا بهذا الرجل، وشددوا عليه الطلب، فجاءوا إليه جميعهم، وسألوه بجده رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، إلا ما أغاثهم، فتوضأ وصلَّى ركعتين، وسأل اللَّه تعالى، ثم أمرهم برفع أمتعتهم عن طريق السيل، وكانوا نازلين بوادي من الأودية، فبادر قوم وتأنى آخرون، فجادت عليهم السماء بالغمام والأمطار، وأتاهم الوادي كالبحر الزاخر، وأخذ أمتعة كل من تأنوا عن رفع أمتعتهم، فملئوا جميعاً أوعيتهم، وساروا فصارت كرامة عظيمة معروفة عندهم، فلما وصل كردفان أذعن له الخاص والعام، وأحبه البر والفاجر، وأخذ على يده خلق كثيرون.

الفصل الثاني

في ذكر بعض تلامذته الذين أرشدوا على يده وما يتعلق بذلك، وفي بعض كراماته وتنقلاته بالبلدان للدعوة إلى اللَّه تعالى ونشر الطريق

(أ) خلفاؤه وتلاميذه بكردفان:

١- البيتي:

فممن وصل وتكمّل على يده، وتحقق بدرجة الإرشاد عليه، [حماد البيتي] لقبه الإمام بهذا اللقب، أعني لفظة [البيتي] وهو بكردفان، سمعت من أستاذي السيد محمد الحسن: أنه بلغ رتبة أمامية الشمال، وتكمّل بها، وتأهل لدرجة الغوثية، ولم يمنعه من الجلوس على كرسيها غير النسب، يعني لم يكن من ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، لأن القطبية الكبرى مخصوصة بهم، كان ظاهر الكشف، ساطع الحال، ثابت القدم، عظيم الأدب مع الإمام. يحكى أنه ماتت جارية له، فلما دفنها لقنها، وقال لها: يا فلانة إذا جاءك الملكان، قولي لهما: إني مملوكة لحماد البيتي تلميذ الختم، فبلغ الإمام ذلك، فقال: هو مستحق أن يشفع لها بنفسه، ولكن يقول ذلك لمراعاة الأدب معنا فقط.

٢- القاضي عربي:

ومنهم: [القاضي عربي]، خليفة خلفائه بكردفان، وكان عالماً عاملاً أديباً فاضلاً، وكان قاضي القضاة بتلك البلاد، وكان مؤدياً لحقوق الطريقة على أكمل حال، وكان الإمام يجله كثيراً، ويقول لكل تلامذته: لا تقولوا إلا شيخنا عربي، ويقول ذلك هو بنفسه، ليقتدي به تلامذته.

٣- الشيخ إسماعيل:

من أجلّ الآخذين عن ختم أعلى مقامات الولاية، الإمام القطب الختم الميرغني، قدس اللَّه سره، [الشيخ إسماعيل الولي بن عبد اللَّه]، الولي الكامل الشهير، فتح عليه، وتكمَّل، وظهرت منه الكرامات و الخوارق، وأخذ الشهرة والصيت بكردفان، من جميع من أخذ على الإمام الختم هنالك، وقد غلبت عليه الأحوال، حتى قال: لا تطلع الشمس ولا تغرب إلا بإذني، فراجعته الحكومة وشددوا عليه، ثم تركوه، ولم يزل ظاهر الحال مؤيداً، نافذ الكلمة، عظيم الجاه، معتقداً، محبوباً عند أهالي كردفان.

٤- صالح سوار الذهب:

وممن أخذوا عليه بكردفان خليفة خلفائه، [الخليفة صالح سوار الذهب]، أخذ الطريقة على الإمام الختم، وقت مجيئه بكردفان، وكان طريقه قبل ذلك قادري، وكان الإمام رضي اللَّه عنه يجله كثيراً ويكرمه، ويوصي تلامذته بإحترامه، وكان فاضلاً جليلاً، شهيراً بتلك البلاد.

٥ – إبراهيم البرقاوي:

ومنهم: [الخليفة إبراهيم البرقاوي]، سمعت أستاذي يقول: كان ساطع الحال، سامي الارتقاء، وكان فائقاً في الترقي على حماد البيتي، لأنهما فتح عليهما معاً، إلا أنه مات سريعاً.

٦ – موسى البرقاوي:

ومنهم: [الحاج موسى البرقاوي]، كان ولياً من أولياء اللَّه، رأيناه وقد صحب أستاذنا السيد محمد الحسن، وكان يشهد له بذلك.

٧- محمود بادي:

ومنهم: خال الأستاذ السيد محمد الحسن، [الفقيه محمود بادي]، كان عالماً عاملاً، أديباً، عارفاً باللّٰه تعالى، له تآليف جليلة في طريق أهل اللّٰه، وفي علم الظاهر، وله مرائي عالية، وهمة شريفة.

وهؤلاء كلهم بكردفان في أول قدوم الإمام إليها، وغيرهم كثير، يخرجنا استقصاء ذكرهم عن طلب الاختصار المرغوب.

ثم أن ملك تلك البلاد حسد الإمام، وخاف على ملكه منه، لما رأى من إذعان جميع الناس إليه، وانكبابهم وانقيادهم له، وتوافد جموعهم إليه، عزم على فعل ما لا يليق معه، وبدأ بتلاميذه فحبسهم وشدد عليهم، فقام الإمام من كردفان، وتوجه إلى جهة سنار، وأوعد الملك المذكور، بزوال ملكه بقدوم الدولة المصرية بالسودان، وهلاكه وأخذ ملكه على يدها، ولم يكن ملك تلك الدولة لتلك البلاد، خطر على بال أحد من أهليها في ذلك الوقت، وقد دفن بهذه البلدة السيد إبراهيم تاج الختم، والسيد أحمد أخاه، وعليهما بنية عظيمة، يقصدان بالزيارة، وتقضى عند ضريحهما حوائج الزائرين.

(ب) سنار:

ولما وصل الإمام القطب الختم سنار، وعمره آنذاك خمس وعشرون سنة، أقبل عليه جميع أهل البلد، ملوكها وعلماؤها وعامة أهلها، وأخذوا عليه الطريق.

١- الشيخ أحمد عيسى:

ومن مشاهير هذه البلدة، الذين أخذوا على يده [الشيخ أحمد عيسى]، العالم الشهير، كان عالماً صالحاً تقياً، وهو تلميذ الشيخ أحمد الدردير، شارح المختصر بمصر، وحثَّ تلاميذه وعامة الناس على أخذ الطريق منه، ونوَّه لهم بجلالة قدره، ورفعة شأنه.

مناظرة ود بقادي:

ثم سمع بالإمام عالم آخر، قريب من قرية سنار، وكان بارعاً في العلم، يقال له الفقيه إبراهيم ولد بقادي، فداخله داء الحسد، فقام من بلده قادماً إلى الإمام بقصد معارضته، وشاع أمره بذلك عند العام والخاص، وعند الإمام رضي اللَّه عنه وتلامذته، فوصل سنار يوم الأربعاء، فهاجت ريح شديدة، لم تمكنه أن يخرج فيها من منزله، فأصبح يوم الخميس محموماً، وقد نهاه الفقيه الشيخ أحمد عيسى عن معارضة الإمام، أول وصوله بسنار، فلم يقبل، واشتدت عليه الحمى، وأصبح يوم الجمعة، قد ظهرت عليه أمارات المنون، فعند آذان الجمعة توفي، فكانت كرامة معروفة، شهيرة عند الخاص والعام، الصغير والكبير، وفي استقصاء كراماته بعد طول.

(ج) المتمة:

ثم أن الإمام القطب الأعظم الختم، توجه من سنار إلى جهة الشمال، على ساحل النيل، إلى أن وصل بلدة يقال لها المتمة، قرية من قرى السودان الشهيرة، وسكانها الجعليون من سلالة العباس، عم رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فمكث بها قريباً من الحول، فهرع إليه جميع أهل البلاد.

١- الشيخ الريح السنهوري:

وأذعن له أجلّ العلماء بها، وهو [الشيخ الريح سنهوري العباسي]، وسلك عليه الطريق، وأمر أتباعه بالأخذ عنه، ونوّه عن شأنه بتلك الجهات، وعندما أعطاه الطريق، قال له: من سلك طريقنا هذا، وفقه اللَّه في أمور دينه، ويسَّر له أمور دنياه، وسهَّل عليه رزقه، ونال خيريْ الدنيا والآخرة. وبنى جامعاً، وأقام فيه الجمعة والجماعة، وعند وضع المحراب لهذا الجامع، أرى الشيخ الريح المذكور، وجمعاً من الناس الكعبة عياناً.

٢ - الشيخ أحمد الطريفي:

وأخذ عليه الطريق، من تلاميذ الشيخ المذكور شيخنا [الشيخ أحمد الطريفي]، العمرابي العباسي، وكان الإمام يشهد له بسعة العلم، ويقول: لو اندرس مذهب الإمام مالك، لأحياه هذا الرجل.

٣- الشيخ علي الطريفي:

وكذا أخذ عليه أخوه [الشيخ علي الطريفي]، وكان عالماً عاملاً تقياً، تالياً للقرآن، قائماً الليل.

٤- الشيخ المجذوب قمر الدين:

وأخذ عليه أيضاً [الشيخ المجذوب بن قمر الدين العباسي]، الولي الشهير، وهو أيضاً من آخذي العلم على الشيخ الريح، ومن هناك صحبه ولازمه، ولم يفارقه إلى أن وصل معه مكة والمدينة.

(د) شندي:

ثم أن القطب الختم انتقل من بلدة المتمة إلى شندي، وهي تجاه المتمة، على ضفة النيل بالوجه الشرقي، فأقام بها مدة أكثر من إقامته بالمتمة، وبنى بها جامعاً عظيماً، وأقام فيه الجمعة والجماعة، وعند وضع المحراب أرى جماعة الكعبة المشرفة عياناً، منهم والدنا الخليفة علي الجزولي، حكى هذه الواقعة بنفسه مشافهة وغيره، وفي هذه البلدة أخذ علية الطريق خلق كثيرون لا يحصون.

١- الخليفة علي الجزولي:

وممن فتح له على يده، وصار من أهل الكمال، والدنا [الخليفة علي الجزولي]، المذكور، سمعت من أستاذي السيد محمد الحسن: أنه بلغ رتبة الأوتاد، وسيبلغ أمامية الشمال، إن شاء اللّٰه تعالى.

٢ - الخليفة محمد ولد ساتي:

ومنهم: [الخليفة محمد ولد ساتي] الشهير بدنقلا، سمعت من أستاذي: أنه كان من الأبدال، أخذ الطريق على الإمام بأمر من رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلَّمن في المنام ليلاً، فلما قدم إليه صبيحة تلك الليلة، قال له قبل أن يتكلم: أعندك توقف بعد أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ لك البارحة، وفي استقصاء واقعته بعض طول.

٣- الخليفة المبشر:

ومنهم: [الخليفة المبشر]، لقبه الإمام بهذا اللقب، وكان من أعيان الرجال، بلغني عن بعض الأخوان: أنه لما كان إماماً بجامع الإمام بشندي، بعد سفره رضي اللَّه عنه، كان يؤذن في الصلاة للوقت الواحد، من كثرة الخلق معه أحد عشر مؤذناً.

٤- محمد عثمان المبشر:

ومنهم: ابن الخليفة المبشر المذكور، واسمه [محمد عثمان]، صحبه بمكة المشرفة زمناً طويلاً، ثم عاد إلى بلاده، وكان ثابت القدم في الولاية، وكان الإمام يشهد له بصحبة الخضر عليه السلام، وجالسه وجالسناه، وذاكرناه كثيراً، وسمعنا منه ما ينبئ عنه أنه من كمل الرجال الأخفياء الأفراد.

٥ - الخليفة المجذوب:

ومنهم: [الخليفة المجذوب]، وكان رجلاً من الرجال الأبرار، وقدمه ثابت في الولاية، وله المعرفة الكاملة في علوم الظاهر، ومدح الجناب النبوي، وله شرح جليل القدر على مدح النور البرّاق، تأليف الأستاذ الختم.

٦- الخليفة الجزولي بن عبد الوهاب:

ومنهم: [الخليفة الجزولي بن عبد الوهاب]، صحبه كثيراً بالتاكة ومصوع والحرمين، وجالس سيدي أحمد بن إدريس، وكان ركناً من أركان الطريقة، وقدمه ثابتة في الولاية.

وأخبر الإمام ملك هذه البلاد، أعني شندي، الذي هو الملك نمر، بأن الترك سيقدمون من مصر، يعني محمد على باشا، ويملكون هذه البلاد، ولما تكلم الأستاذ بهذا الكلام، وقال له بعض الناس: كيف ذلك، فقال لهم: يدخلون بلاد السودان، ويملكونها ويملكون هذه البلدة، ويدخلون جامعي هذا، ويربطون خيلهم به، وأنت يا أخانا محمد ولد جامع، يقولون لك: أمسك هذا الحصان، ودور به، ويتفلون على وجهك، وقد رأينا هذا الرجل، وأخبرنا شفاهاً بما وقع له، كما عرفه بذلك. وقد دفن الإمام بهذه البلدة ابنته السيدة أم كلثوم، وعليها بنية عظيمة، ولها بركات وإغاثات ظاهرة.

(هـ) الدامر:

ثم أن الإمام الميرغني توجه من جهة شندي إلى الجهة البحرية، حتى وصل بقرية يقال لها الدامر، فجلس بها أياماً قلائل، وكان قصده المرور إلى جهة بربر، فبلغه نزول الترك بأبي حمد، وهي بلدة ينزل بها القادم من عقبة ريف مصر إلى بلاد السودان على ساحل النيل، فطلع من الدامر على ساحل أتبرا، طالباً التاكا وهي كسلا.

وحكى لنا أنه: لما كان بالدامر قدم عليه رجلان من فقهاء البلدة، فقال أحدهما لصاحبه: هلم لعلنا نتغذى، ثم نتحصن بآيات اللّٰه، ونذهب إلى هذا الشريف نزوره، خوفاً من أن يسلبنا، فأتى كل منهما بغذائه، أحدهما مادوم بلبن حامض ،والآخر بخضار، فلما أكلا وتوضئا، وصلَّى كل منهما ركعتين وقرأ يس، وما شاء اللّٰه من السور، توجها إلى الإمام فسلما عليه، وجلسا بالمجلس فرد عليهما السلام، ثم أقبل على الرجل الحضرمي وزيره، فقال: يا شيخ محمد، ما الذي تخشى عليه أن يسلب منك، وما في جوفك غير خضرة وروابة، أيسلب منك الخضرة أو الروابة؟، فعرف الرجلان شأنهما، ومضيا إلى حاليهما.

(و) أم ضبيع:

ولما توجه الإمام القطب الميرغني الختم بجهة التاكا أعني كسلا، نزل أول خروجه من الدامر ببلدة يقال لها أم ضبيع، على نهر أتبرة، وكان الوالد قابله وزاره بالدامر المذكور، وطلبه بأن يشرفه بالنزول عنده، فلما بلغه سفره أدركه ببلدة أم ضبيع، وأخذ عليه الطريق، ومعه الأذكار، وأخذ عنه أوراداً من جملتها حزب الدور الأعلى، لسيدي محي الدين بن العربي، وسافر معه إلى أن وصل ببلدة يقال لها الجندي، شرقي نهر أتبرا، من هناك أمره بالرجوع فتوقف، وطلب السفر معه، فأكد عليه بالرجوع، وبشره بالمواجهة ثانية، فرجع إلى بلده.

(ز) قوز رجب:

وتوجه القطب الختم إلى أن وصل بلدة يقال لها قوز رجب، وهي أيضاً على نهر أتبرة، بالقرب من كبه، فأقام بها مدة، وأخذ عليه خلق كثيرون.

١- الخليفة أحمد ولد الحاج أحمد:

وخلف بها تلميذه [الخليفة أحمد ولد الحاج أحمد]، وكان فاضلاً جليلاً عالماً، عاضاً على الاستقامة، وأداء أوراد الطريقة، ظاهر الصلاح والبركة.

٢- الخليفة محمد ولد دقاقة:

وبعد وفاته، خلفه تلميذه [الخليفة محمد ولد دقاقة]، وكان براً كريماً صالحاً، حسن الأخلاق، ظاهر البركة، قد صحبه بسواكن وغيرها، وله بهذه البلدة خلفاء كثيرون.

٣- الخليفة التاي:

وممن فتح له بها على يده [الشيخ التاي]، وكان براً كريماً صالحاً، وكان مملوكاً، وكان يطوف ليله كله بمحل الإمام الذي فيه، وكان ولياً من أولياء اللّٰه تعالى.

ودفن بهذه البلدة بنتين، وعليهما بنية يزاران، وتعرف منهما الإدراكات والبركات.

الفصل الثالث

في بيان بعض شأنه وما يتعلق بذلك من بعض تلامذته وبعض وقائعه، بعد استقراره بالسنية أي الختمية

(ح) في السنية [الختمية حالياً]:

ثم إن الإمام الختم الميرغني توجه من قوز رجب إلى التاكه [كسلا]، وكان أعظم رجل بها، منعقدة له رئاستها في العلم والطريق، [الحبيب يعقوب]، لقبه الإمام بالحبيب، فلما رأى الإمام سلّم إليه أمره، وأمر كل من كان تحت أمره ونهيه، أن يأخذوا عليه، وأخذ أولاً هو عليه، ونوّه عن شأنه، وسلَّم له القيادة، فانصلح حاله، وكان من الأولياء أهل الكمال، الفائزين بلذيذ الوصال، فارتحل الإمام بمن تبعه إلى قريته، التي سمّاها السنية وهي المعروفة بالختمية، وهاجر إليه بها كل من أحبه، من كل الجهات بشرق السودان، وقد صارت قرية عظيمة وأقام بها مدة، وكانت كمعقل له.

وكان يقول لأتباعه: بعد هذا تعمر هذه البلدة، وترون بها النخيل والرمان، والعنب وأنواع الفاكهة، وكانوا لا يعرفون ذلك في بلادهم، فما مضت عليهم مدة كبيرة حتى رأوا ذلك كله.

وأخبرهم بقدوم الترك عليهم، وأمنهم من ضررهم، وأنبأهم بحكمدار السودان، الذي سيأتيهم وكتب إليه جواباً، وأوصاه فيه على أتباعه بالسنية والملاطفة بهم، وقال لهم: احفظوا هذا الجواب، فإذا قدم إليكم الباشا المذكور، فسلموه جوابي هذا، فلما قدم إليهم، قابلوه وسلموه له، فأكرمهم وجعل لهم جاهاً، وسألهم عن الإمام وشأنه، فعرفوه بذلك، فتعجب من أمره، وصار لهم ذلك الإحترام إلى إنقضاء مدة الحكومة المصرية، وقد اعتراني الشك في الحكمدار، الذي كتب له الإمام الجواب، خورشيد باشا أم غيره من الباشوات، واللَّه أعلم.

وكان يقول: بشَّرني جدي: أن مقبرة قرية السنية ملحقة بالبقيع، واللَّه ذو الفضل العظيم، ودفن بالسنية ثلاثة أولاد، الحسن والحسين ومحمد صالح، وببلدة قريبة منها نحو مرحلتين أو ثلاثة، يقال لها الدباب، دفن ابنته السيدة زينب بها، نفعنا اللَّه بهم أجمعين.

١- الحبيب يعقوب:

ثم أن الإمام الختم استقر بهذه البلدة مدة من الزمان، هاجر إليه بها الخلق من جميع الجهات، وأنصلح عليه فيها رجال كثيرون، ومنهم خليفة خلفائه بها [الحبيب يعقوب]، قدَّمه على جميع أهالي الجهات المتطرقين، وأنصلح على يده فيها رجال كثيرون، وصلَّى خلفه، وأجلسه على الفراش بحضرته، ونوَّه عن شأنه.

٢ – النائب إبراهيم:

ومن بعده [خليفة خلفائه النائب إبراهيم]، وكان صاحب قدم في الولاية، سمعت من أستاذي: أنه من الأبدال.

٣- الخليفة التقي:

ومنهم: [الخليفة التقي]، من قبيلة يقال لها الشيخاب بالتاكة، أي كسلا، كان صاحب فتح وقدم في الولاية، وقد حصلت منه مخالفة يسيرة، لأمر أوصاه به الإمام، فانحجب عنه فتحه، فوقع على الإمام وتاب وأناب، وسامحه وأعاد عليه فتحه، وزاده في شرحه.

٤- نائب المختار:

ومنهم: خليفته [نائب المختار]، من قبيلة الشيخاب المذكورين، وكان صاحب قدم ثابت في الولاية، وكان أستاذي يشهد له بذلك.

٥- محمد بن نائب المختار:

ومنهم: ابنه [الخليفة محمد]، كان ولياً كاملاً من أهل الديوان، ظاهر الحال والتصرف.

٦- أحمد الشنباتي:

وممن هاجر إليه من جهات الصعيد بالسنية، وفتح له وتكمّل، خليفة خلفائه [الخليفة أحمد الشنباتي]، أخذ عليه الطريق بالختمية، أي السنية، وفتح عليه وتكمل، وصار من كمل أهل اللّه، وله كرامات ظاهرة.

حكى تلميذه الحاج الحسن العبادي عنه كرامات عديدة، وكان رجلاً مباركاً، قال: توجهت معه إلى الحجاز، ومرضت بأرض الحرمين مرضاً شديداً، ثم بعد مدة منَّ اللّه علي بالعافية، فقال لي مرة: يا أخانا الحاج حسن، ما تشتهي؟، فقلت: أشتهي طعام أمي فلانة وإدامها، يعني زوجة شيخه المذكور، بأقصى الصعيد بالسودان، قال: لما جاء العشاء، إذا أنا بالإناء الذي أعرفه، والطعام والإدام الذي أعهده بذاته، حاراً يتصاعد منه البخار، فقال لي: كُلْ، فأكلنا حتى شبعنا، وأنا آكل وأتعجب من ذلك غاية العجب، فلما فرغنا من الأكل، قلت يا سيدي ما هذا؟، فقال لي: طعام أمك فلانة الذي تشتهيه، وكان بيننا وبين بلادنا الأيام العديدة، فلما وصلنا إلى بلادنا، حكت لنا الحكاية المذكورة، وقالت: في الليلة الفلانية، وقع لي أمر عجيب، وهو أني صنعت الطعام، وجعلت عليه الإدام، وأردت أن أحمله فلم أجده، ثم بعد سويعة من الزمان، وجدت الإناء موضوعاً في محله من غير طعام، فعرفتها بما صار بيني وبين شيخي من الكلام، في تلك النازلة بمكة المشرفة، وله كرامات كثيرة معروفة مشهورة، يخرجنا ذكرها عن حد الاختصار.

٧- الخليفة الجزولي بن عبد الوهاب:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة الجزولي بن عبد الوهاب]، وهو نعم الرجل، كان عالماً فاضلاً، مبجلاً مكرماً عند الإمام، وركناً قوياً من أركان طريقته، رآه تلاميذه كلهم طائراً في الهواء عياناً.

(ط) القضارف:

١- الخليفة الصافي:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة الصافي]، بجهة القضارف، ظاهر الكرامات، ثابت القدم في الولاية، مستقيماً، مؤيداً لحقوق الطريقة وخدمتها، وكان مدرساً للقرآن، حفظ على يده أناس كثيرون.

٢- الخليفة الأمين ولد جبر:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة الأمين ولد جبر]، كان ركناً من أركان الطريقة، ويداً من أياديها الطائلة.

٣- الخليفة الماحي:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة الماحي]، كان رجلاً مستقيماً، مؤدباً، قائماً بأذكار الطريقة وأورادها، وكان ولياً من أولياء اللّٰه، عالماً عاملاً، وله بركات وكرامات، والخليفة الماحي المذكور هو بالجزيرة بالصعيد، بالحلويين.

٤- الخليفة أحمد ولد العماس:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة أحمد ولد العماس]، كان جليلاً فاضلاً، حفظ عليه القرآن عن ظهر قلب خلق كثيرون، وكان حسن الخلق، جميل الصبر، كثير البركات.

٥- الشريف إبراهيم ولد سحنون:

ومنهم: [الشريف إبراهيم ولد سحنون]، كان عالماً عاملاً، أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن عيسى، تلميذ الشيخ الدردير، بسنار.

٦- الشريف عبد العزيز ولد أبي سحنون:

ومنهم: ابن عمه [الشريف عبد العزيز ولد أبي سحنون]، كان ظاهر الحال، كثير البركات والكرامات، وكان الغالب عليه حال الجذب.

٧- الشريف محمد بن الشريف إبراهيم:

ومنهم: [الشريف محمد بن الشريف إبراهيم المذكور]، كثير الكرامات، ترى على ضريحه الأنوار عياناً.

وللإمام القطب الختم ببلاد السودان وغيرها، تلاميذ كثيرين لا يحصون، ومنهم جملة صاروا من أهل القدم الثابت في الولاية.

٨- الشيخ عبد القادر الفادني:

ومنهم: [الشيخ عبد القادر الفادني]، كان فرداً من الأفراد، وكان من أهل الكمال الكبير، وسمعت من أستاذي السيد محمد الحسن يثني عليه كثيراً، وكانت الأحوال تعتريه، فيجلس الأيام العديدة لا يأكل ولا يشرب.

(ي) أم الطيور:

١- الخليفة حمد الصادق:

ومنهم: [الخليفة حمد الصادق بن حمد المجذوب]، الجعلي العباسي، بجهة أم الطيور، وكان من أهل الصدق والكمال، والمحبة الخالصة من الإمام، معمور الباطن بالمحبة في الحضرة المحمدية، وكان كثير البكاء.

سمعت ممن سمع منه: أنه كان مسافراً مع الإمام، فلما أراد الرجوع منه أوصاه، قال: قال لي في وصيته: عليك بتقوى اللَّه، فأحسست بتلك الكلمة اتقدت ناراً في فؤادي، وما زالت تشتعل في قلبي إلى الآن، وسمع منه بعد موته يقرأ راتب الإمام الختم في قبره، جهراً بصوت عال، في قوله: يا حي يا قيوم، وما زال السامعون يدنون منه إلى أن وقفوا على قبره، وعرفوا بذلك جميع الناس هناك، وهي كرامة معلومة، يعرفها جميع أهل جهته.

٢- الخليفة الجزولي:

ومنهم: [الخليفة الجزولي]، كان معمور الباطن بنور اللَّه، مستغرقاً في محبة اللَّه ورسوله، ثابت القدم في طريق أهل اللَّه، وهو غير الخليفة الجزولي بن عبد الوهاب الذي أسلفنا ذكره.

٣- الخليفة الأمين العمرابي:

ومنهم: [الخليفة الأمين العمرابي]، بحلة سقادي، أي الرقط.

٤- الخليفة محمد ولد نور:

ومنهم: [الخليفة محمد ولد نور الرباطابي]، بسقادي أيضاً، وكلهم أهل أحوال صادقة، ومن قبيلة الجعليين، يتصل نسبهم بالعباس بن عبد المطلب، رضي اللَّه عنه.

(ك) الداخلة أتبرا:

١- الخليفة محمد بن الأبيض:

ومنهم: عمنا [محمد بن أحمد بن الأبيض]، كان شديد الجذب في أول أمره، ثم أفاق بعد ذلك، وتزوج وولد له، وكان أستاذي سيدي السيد محمد الحسن ينوه عنه، ويثني عليه كثيراً، ويقول: هو من رجال اللَّه الأفراد، ويثني على أخيه لوالديه [الفقيه علي الأبيض]، ويقول: هو أرقى من أخيه المذكور، وأرفع درجة، غير أنه محجوب عن فتحه،

وكلاهما من سكان الداخلة، رباطابي الجنس، يتصل نسبهما بالعباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه.

٢- الخليفة محمد النصيح:

ومنهم: خليفة خلفائه بتلك الجهات، والدنا [الخليفة محمد النصيح]، لقبه الإمام الختم بهذا اللقب، وسمعته يحكي لأستاذي سيدي محمد الحسن، ويقول له: لما قدمت من حضرة الإمام من السنية، أي [الختمية]، إلى بلدي، لم يكن في فكري إلا إتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وكانت همتي كلها مستغرقة في ذلك، وسمعت منه يحكي لأستاذي المؤمى إليه، فقال له: كنت مرة بجهة بندر بربر، في خدمة تخص الإمام، فلما قضيت تلك الأشغال، ورجعت إلى محلي، أتى إليَّ الأخوان يردون عليَّ السلام، فبينما أنا أتحدث معهم، إذ رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فنهضت قائماً بسرعة كالمفزوع، ثم غاب عني، وانتبهت بعد ذلك للأخوان الجالسين، فأصابني منهم استحياء، قالوا لي: ما هذه النهضة منك؟، فسترت عليهم الحال بأمور أخرى. وكان للإمام عناية عظيمة به، رأيته عرض على أستاذي سيدي محمد الحسن جواباً من الإمام، بخط يده الشريفة، يقول له فيه: خليفة خلفائي من فازغلي إلى الأسكندرية، وكتب إليه ببيتين يوصيه فيهما، وهما هذان:

يا نصيح القوم دم بنصيحة ولازم لذكر اللَّه صبحاً كذا مسا
وكن عاكفاً فوق التلاوة يا فتى والي لمن والى وجانب لمن أسا

وسمعت من أستاذي سيدي محمد الحسن، يقول فيه بعد موته: رأيت خيمة عظيمة من نور، تحت ظل العرش، مع خيم كمل أهل اللَّه، فقلت: لمن هذه الخيمة؟، فقالوا: لخليفتكم محمد النصيح، فحمدت اللَّه على ذلك. وفَّر اللَّه حظنا من محبتهم، وثبتنا على ذلك إلى يوم لقاء اللَّه، وجعلنا من حزبهم، وخواص حضرتهم، آمين.

والخليفة محمد النصيح هذا، هو من سكان بلدة الداخلة، ورباطابي الجنس، ينتهي نسبه بالسيد العباس بن عبد المطلب، رضي اللَّه عنه.

٣- الخليفة الأمين الرباطابي:

ومنهم أيضاً: [الخليفة الأمين الرباطابي العباسي]، كانت سكنته ببلاده بالرباطاب، ثم انتقل أولاده إلى جهة بربر ببلدة الباوقة، وذريته موجودة بها إلى الآن.

الفصل الرابع

في ذكر بعض من انتفعوا به بجهة دنقلا، ووصلوا على يده بجهات دار الشايقية، ودنقلة، والمحس، والسكوت، وغيرها من خلفاء وأتباع

وأما عامة الخلفاء والأتباع فلا يحصون.

(ل) في دنقلا وبلاد الشايقية:

١- الخليفة محمد بن مالك:

فمن الواصلين على يده، خليفة خلفائه بدار البديرية، بدنقله، [الخليفة محمد بن مالك]، بجزيرة قنتي الشهيرة بمديرية دنقلا، البديري العباسي، أخذ الطريقة من الإمام الختم بكردفان، وصاحبه ولازمه إلى وصوله بجهة التاكة، وهي كسلا، واستقراره بها ، ثم أن الإمام أمره بالتوجه الى أهله، بجهات دار البديرية بدنقلا، وبنشر الطريقة، وإقامة شأنها بتلك الجهات، وكان مبجلاً مكرماً عند الإمام، ظاهر البركات، مغموراً بهواطل الإمدادات، وحكى لي الأخ الخليفة أحمد ولد أبو طين، قال لي: كنت أحمل الراية أمامه في حال مروره، وأنشد القصائد المسماة السفينة، وكان يعتريني حال ونشوة، حتى كأني أرى العرش بعيني.

٢- الخليفة محمد خير بن الفقيه محمد صالح العراقي:

ومنهم: خليفة خلفائه بدار الشايقية [الخليفة محمد خير بن الفقيه محمد صالح العراقي]، كان شاباً عالما تقياً، أخذ الطريق فأعتنى به الإمام، وأرسل له إجازة الخلافة في محله، وكان من بيت علم ودين وصلاح، ثم أنه هاجر إلى الإمام بمصوع، واستأذنه في

حج بيت اللَّه الحرام، وزيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ فأذن له، فتوفى مهاجراً بين مكة والمدينة، ودفن مع الشيخ عبد الرحيم البرعي، تغمد اللَّه الجميع برحمته.

٣- الخليفة النقيب بن عبد الحي:

ومنهم: [الخليفة النقيب بن عبد الحي]، لقبه الإمام بهذا اللقب، وكان ركناً من أركان الطريقة، وعموداً من أعمدتها الثابتة، عينه الإمام في بلاده بدنقلا، كان على القدم الكامل من الاستقامة، وأداء حقوق الطريقة ونشرها وتأييدها، وكان صاحب بركات ظاهرة، توجه إلى جهة مصر لنشر الطريقة، ولم يأخذ الإذن من الإمام، وتوفي حال وصوله لها، فلما بلغته وفاته، قال: أخذه أولياء مصر لعدم أخذ الإذن، ولو أخذ الإذن منا، لم يصبه منهم ضرر.

٤- الخليفة أحمد ولد دار السلام.

٥- الخليفة المنصور:

ومنهم: [الخليفة أحمد المشهور بولد دار السلام] و [الخليفة المنصور ولد سليمان]، سمعت من أستاذي السيد محمد الحسن، يقول فيهما الاثنين: أنهما من أهل التصرف في ديوان الأولياء.

٦- درويش الزومة:

ومنهم: [الخليفة المشهور بدرويش الزومة]، هاجر لزيارة الإمام، في جمع من الأخوان إلى مصوع، فوقع له الفتح، ورجع إلى بلاده بدار الشايقية، وتكمل، وشهد له أستاذنا السيد محمد الحسن بالكمال، وأنه من الأوتاد.

٧- الخليفة مالك ولد جنيد:

ومنهم: خليفة خلفائه [مالك ولد جنيد]، البديري العباسي، خلفه بعد الخليفة النقيب، صحب الإمام بمصوع وغيرها، وروى عنه كثيراً، وكان حافظاً ضابطاً، أديباً،

منكسر القلب، ثابت القدم، ذا خير وبركة، توفى قريباً في أوائل العام الماضي، أو قريباً منه، أعني عام سبع بعد الألف والثلاثمائة، ومنهم: [خليفة خلفائه الخليفة محمد ولد ساتي علي)، وقد بيَّنا أمره فيما سبق، بجهة شندي، ولكن بلاده دنقلا.

٨- الخليفة محمد ولد إبراهيم:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة محمد ولد إبراهيم]، من أرقو، كان رجلاً جليلاً، صالحاً، شديد الغرام بطريق أهل اللّه، والشوق إلى مشاربهم.

(م) في بلاد المحس:

١- الخليفة الشيخ إدريس:

ومنهم: خليفة خلفائه بدار المحس والسكوت، وهو [الشيخ إدريس]، كان شديد الظهور، عظيم الجاه والنفوذ والصيت، ومنتهية إليه الزعامة الدينية في تلك الجهات، عالماً، عاملاً، عابداً، زاهداً، ولياً كاملاً، كان مرتباً على نفسه كل يوم وليلة ألف ركعة، ما رئي ليلاً أنه راقد في فراشه، وإنما ينام جالساً أو مضجعاً على الأرض.

سمعت من أستاذي، سأله يوماً عن سبب استعماله لهذه الألف ركعة؟، فقال له: يا سيدي، رأيت في بعض الكتب أن رابعة العدوية كانت مرتبة على نفسها هذا الورد، فسئلت عن ذلك، فقالت: فعلت ذلك حتى يقول أهل الجمع يوم القيامة، هذه امرأة من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ تعمل مثل هذا العمل، فقلت: أنا أرتب هذا العمل على نفسي، حتى يقول أهل الجمع يوم القيامة، هذا التلميذ من أقل تلاميذ الإمام الختم، يعمل مثل هذا العمل، وله بركات ظاهرة، وكرامات مشهورة، وسمعته يقول، ونحن جماعة معه، كالمتحدث بنعمة اللّه عليه: أنا تلميذ الختم، ما شبعت من طعام، منذ أخذت الطريق على يدي الإمام، فسبحان من وفقهم وقوَّاهم.

٢- الخليفة الصادق عبد المحمود:

ومنهم: تلميذه [الخليفة الصادق بن عبد المحمود الغرباوي]، تكمّل على يده، وكان مرشداً داعياً إلى اللَّه تعالى، وتخرج على يده جماعة من أهل الطريقة.

(ن) بلاد الحبشة:

١- الشيخ بشرى: ومن أعظم تلاميذه [الشيخ بشرى] ببلاد الحبشة القاصية، بالبلاد المعروفة ببلاد الرحمنو بالحبشة، كان من أولياء اللَّه الكمل، وقد بلغ من الشهرة والصيت هناك ما لا مزيد عليه، وكان كأنه ملك من الملوك، لنفوذ كلمته وسطوته، وإذعان الخلق إليه في تلك البلاد، أقام الطريقة وأيدها وتحقق ببركتها، وكان عالماً عاملاً علاّمة.

٢- الخليفة محمد ولد طه:

وله رضي اللَّه عنه بقرب السنية، نحو المرحلتين، ببلدة يقال لها سبدرات، تلامذة كثيرون، وعين بها خليفة خلفاء [الخليفة محمد ولد طه]، كان عالماً، عاملاً، ظاهر البركة والصلاح، وكان الإمام يحبهم كثيراً، ويقول فيهم: أهل سبدرات كرشي وعيبتي، وبنى بهذه البلدة جامعاً، تقام فيه الجمعة والجماعة.

٣- الخليفة محمد ولد ريحان:

وله أيضاً ببلدة القدين، جبل بينه وبين سبدرات المذكورة، نحو أربعة مراحل، تلامذة كثيرون، وعين فيه خليفة خلفائه [الخليفة محمد ولد ريحان]، كان من أخلص الأخوان وأصدقهم، وله بهذه البلدة جامع كبير، تقام فيه الجمعة والجماعة.

الفصل الخامس
في ذكر بعض أتباعه بجهة بني عامر، إلى جهة مصوع وسواكن،وما يتعلق بذلك

فنقول: له رضي اللَّه عنه بجهات قبيلة بني عامر، الشهيرة بالسودان الشرقي، وما بين التاكه وكسلا والحباب ومصوع، تلامذة كثيرون، بل كل أهل تلك الجهات من مريديه، فلنذكر منهم بعض الذين انتفعوا على يده، ووصلوا إلى مناهل الأبرار ومراتب الأخيار.

(س) في بني عامر:

١- الخليفة مدني قرجن:

فمنهم ببني عامر: خليفة خلفائه الأكبر، العالم العلامة [الخليفة مدني قرجن]، كان عالماً، عاملاً، تقياً ولياً، كاملاً، كثير الخدمة للإمام ، شديد التعزيز والتوقير له، ظاهر البركة والكرامات، تنقاد له كل أهالي تلك البلاد، وتذعن له، نافذ الكلمة في جميع تلك البلاد، عظيم الجاه و النفوذ فيها، وبيته بيت دين وصلاح مشهور.

٢- الخليفة محمد ولد كيلاني:

ومنهم: خليفة خلفائه [الخليفة محمد ولد كيلاني]،كان من أجل أتباعه، وخاصة أصفيائه وأشياعه.

٣- الخليفة علي:

ومنهم: خليفته [الخليفة علي]، كان رجلاً صالحاً، ظاهر البركة، طاعناً في السن، معتقداً، متبوعاً في جهاته.

وقد دخل على يده في تلك الجهات خلق كثيرون في دين الإسلام، يقال لهم البارية الحمراء والمارية الزرقاء، وحسن إسلامهم، وأقاموا شعائر الإسلام من صلاة وصيام وغير ذلك، ولهم في الإمام محبة شديدة، وإجلال وتعظيم.

(ع) مصوع:

١- الخليفة الشيخ علي:

وله بجهات مصوع خليفة خلفائه الشهير [الخليفة الشيخ علي]، من بيت دين وصلاح وبركة مشهور بتلك الجهات، من أجداده السابقين.

بلغني أن جده أو والده قابل القطب سيدي عبد اللَّه الميرغني المحجوب بمكة، وتفاوضا في الكلام فيما بينهما، وعرف كل منهما قدر صاحبه، ، فقال له سيدي عبد اللَّه الميرغني: ألا تعطي الطريق ببلادك للخلق، وتدعوهم إلى اللَّه تعالى؟، فقال له: يا سيدي، الطريق إنما هو لك أنت لا لي، وأشار له إلى هذا الإمام، ابن ابنه الذي هو القطب القطب الختم، وقد مرّ ما اسلفناه من ذكره للإمام، أي ما ذكره جده الخليفة علي المذكور لأبنائه وأتباعه عن الإمام الختم، وتعريفه لهم بشأنه، ووصيته لهم بأخذ الطريق عليه، وهذا الكلام كان في عهد القطب سيدي عبد اللَّه الميرغني المحجوب، والإمام الختم في الغيب.

٢- الشيخ محمد بن علي:

ومن أجل خلفائه أهل القدم الثابت في الولاية، ابنه [الشيخ محمد بن علي]، السالف الذكر، الشهير بجهات مصوع، ظاهر الكرامات، ساطع الحال كثير الكشوفات، له صيت وجاه عظيم، وشهرة كبيرة، بلغني أنه ساعة وفاة أستاذنا السيد محمد الحسن بجهة بني عامر، بغرب السنية، عرف به في ساعته، وقال: في هذه الساعة انتقل رجل الدنيا وواحدها، كان عاضاً على إقامة اذكار الطريق، وأداء أورادها ووظائفها.

وله قدس اللَّه سره بجهات مصوع خلفاء كثيرون، وأقام رضي اللَّه عنه بهذه البلدة، أي مصوع مدة كبيرة، تقرب من إقامته بالسنية أي الختمية، ببلدة يقال لها حرقيق، ودفن بها ثلاثة أنفس، ابنة وابنين، أو بنتين وابن، الشك مني.

٣- الخليفة النائب:

وممن انصلح حاله بها على يده، خليفة خلفائه [الخليفة النائب]، كان زاهداً متجرداً، لا يملك شيئاً، وكان مملوكاً لامرأة من النساء، وكان بعد تعيين الإمام له تجله الأمراء وأعيان البلاد، ويقبلون يده ويتبركون به، وكان مع هذه العظمة يخدم سيدته، لاكتساب رضاها امتثالاً لأمر اللَّه تعالى، فلما رأت ما أكرمه اللَّه به أعتقته، وصارت تخدمه هي.

٤- الخليفة عمر:

وله بجزيرة مصوع زاوية عظيمة، تقام بها صلاة الجمعة، عين بها رضي اللَّه عنه خليفة خلفائه [الخليفة عمر]، أدركناه ورأيناه، لا يشك من رآه أنه رجل من أهل اللَّه، لحسن إستقامته وزهده وورعه.

وله زوايا كثيرة بجزيرة مصوع، وغيرها.

(ف) سواكن:

١- الخليفة مجذوب قمر الدين:

وأما أتباعه بسواكن، فإنهم آخر من أخذوا على يده، وتلقوا عنه التربية بالسودان، وذلك لأن سواكن في أول أمره سلمها لمريده [الشيخ مجذوب قمر الدين الجعلي العباسي]، وكان من مريديه الأوائل، الذين أخذوا الطريقة على يده بجهة المتمة وشندي، كما أسلفنا بيانه، وكان من أعظم الذين أخذوا عليه، وتخرجوا على يده، وبلغوا إلى مقام الإرشاد والدعاية إلى اللَّه تعالى، وقد أقام بها، واستوى له أمرها، وأنقاد إليه أهلها.

وله شرح جليل على مدح البراق، للإمام الختم قدس اللَّه سره، وهو من كمل العلماء العاملين، والأولياء المخلصين.

وأخبرني الخليفة الصافي أنه سمع الإمام، يقول في حقه: لو رأى إساءة بعض أتباعه معنا لتبرأ منهم، وتوفي ببحر النيل، بعد أن نزل من سواكن بأشهر قليلة ببلدة الدامر، وقبره مشهور يزار، وأما ما كان من أمر أتباعه بسواكن بعد وفاته، فإنه لما حضر الإمام بها، وقع من بعضهم بعض إساءات، فلما آيس منهم أقبل على أبنائهم الشبان، فأحبوه وأتبعوه وانجذبوا إليه، وأعطاهم الطريق ، وعلمهم وأدبهم، وأرشدهم في أمورهم الدينية والدنيوية، وأخبر أهل البلد بأن الأمر لا بد أن يؤول لهؤلاء الشبان، فجمعهم عنده كلهم، وقال لهم: إني لا أريد أذيتكم في دينكم ولا دنياكم، فارجعوا عن ذلك فلم يرجعوا، فعين الأمام أولئك الشبان، الذين أرشدهم وفقههم في الدين.

٢- الخليفة محمد الصافي:

وعين منهم خلفاء ونقباء ومقدمين ونحو ذلك، وجعل لهم زوايا في البلد، فعين خليفة خلفائه العالم العلامة [الخليفة محمد الصافي]، لقبه الإمام بهذا اللقب، وهو أكبر خلفائه بسواكن سناً ومقاماً، وأفقههم في الدين، ورتبه في زاويته التي هو مقيم بها، قدس اللَّه سره.

وبلغني أن والد هذا الخليفة الصافي، ساعة قدوم الإمام من مكة إلى سواكن، وسمع الناس يتحدثون بقدوم الإمام وبركته وولايته، قال: اللَّهم إني أسألك أن تعطيني من هذا الشريف خيراً، لم تعط أحداً أحسن منه، أي بهذه الجهة، وأخبرني بدعائه هذا ابنه المؤمى إليه وغيره من الناس، وهو عالم عامل جليل، بحر في مذهب الإمام الشافعي، رضي اللَّه عنه، تولى منصب القضاء سنين عديدة.

٣- الخليفة عبد اللَّه:

وعيَّن [الخليفة عبد اللَّه] خليفة خلفاء بزاوية أخرى لوحده، في أهله وعشيرته، وأهله كلهم منتظمون في محبة الإمام وطريقته، وهو عالم جليل تولى القضاء، بعد الخليفة الصافي مدة.

٤- الخليفة الصادق:

وعيَّن [الخليفة الصادق] خليفة خلفاء بزاوية الجزيرة، وهي زاوية أخرى بجزيرة سواكن، وكل زاوية من هذه الزوايا بها عدد كبير من الخلفاء والأخوان المريدين.

٥- خليفة الخلفاء أبو بكر:

وخليفة الخلفاء بزاوية الجزيرة الآن [الخليفة أبو بكر]، من الأشراف، ومعه جماعة من الأخوان.

٦- الخليفة محمد الصفوة:

وعيَّن [الخليفة محمد الصفوة]، ولقبه بهذا اللقب الإمام، وهو وزير الخليفة محمد الصافي، وكان من أحب تلامذته إليه، وأقربهم منه منزلة، وأشدهم قياماً بأداء أذكار الطريقة، والمواظبة عليها، وهو عالم عامل فاضل، تولى منصب الإفتاء ولا زال فيه، ومن حيث أن أغلبيتهم الآن موجودين بمدينة سواكن، بحمد اللَّه تعالى فرؤيتهم كافية عن تعريفنا لهم، وإنما ذكرتهم لعلمي أن هذه الإفادة، ستنشر في البلاد، فيدعوا الحال إلى معرفتهم وذكرهم ضمن هذه الإفادة، أسوة بأخوانهم الذين أجرينا بيانهم.

٧- الشيخ محمد البدري:

ومن أكابر تلامذته الواصلين على يده إلى اللَّه تعالى، بجهات سواكن [الشيخ محمد البدري]، وهو ولي شهير بتلك الجهة، سمعت من أستاذي السيد محمد الحسن: أنه من كبار أهل الديوان.

٨- الخليفة محمد عبد القادر:

ومن أعظم خلفائه بسواكن [الخليفة محمد عبد القادر]، وهو من أكابر تلامذة الإمام الأولين، كان عظيم الحال، ثابت القدم في الولاية، كامل الأدب مع الإمام إلى وفاته، وهو من أهل بحر النيل، فلما سافر الشيخ المجذوب إلى بحر النيل، بقى في محله بسواكن، إلى أن مات قبل حضور الإمام بها، رحمة اللَّه عليه.

ثم أن الإمام القطب الختم بعد استواء أمر خلفائه المذكورين، وأتباعه ومريديه، أوصاهم وحرّضهم وأكّد عليهم بإتباع الشريعة وإقامة الطريقة، ومجانبة أهل الشقاق، وتوجه إلى مكة المشرفة.

(ص) مصر:

١- الشيخ أحمد أبو حريبة:

ومن أتباعه بمصر، خليفة خلفائه [الشيخ أحمد أبو حريبة]، سمعت من أستاذنا يذكره كثيراً، ويقول: هو من كمل الأولياء، وهو ولي شهير بمصر، يقام له مولد كل عام هناك، وله جامع عظيم، تقام فيه الجمعة والجماعة، وأنه صاحب كرامات باهرة، وبركات ظاهرة، وله رضي اللَّه عنه أتباع كثيرون بصعيد مصر.

٢- شيخ الإسلام الباجوري:

ومن أجل من أخذوا على الشيخ أبو حريبة، شيخ الإسلام يومئذ بمصر، [الشيخ إبراهيم الباجوري]، وقد شرح الشيخ إبراهيم الباجوري رضي اللَّه عنه مولد الإمام الختم شرحاً نفيساً، أشبع فيه القول.

٣- الشيخ خليفة العبادي:

ومن الآخذين عليه بتلك الجهات [الشيخ خليفة ولد الحاج العبادي] الشهير، الكاهلي الزبيري، وقد أهدى للأستاذ جارية مباركة، وهي والدة لبعض أولاده، والشيخ خليفة المذكور من سكان دراو، وهو من أكابر وعظماء تلك البلاد.

٤- الخليفة أحمد ولد سعد:

ومنهم: خليفة خلفائه بتلك الجهات [الخليفة أحمد ولد سعد] ببلدة دراو، وهو من أهل البركات الظاهرة والكرامات الباهرة، مات قريباً من زمن أستاذنا السيد محمد الحسن.

(ق) مكة المكرمة:

١- الشيخ أحمد قطان:

وأما أتباع الإمام القطب الختم بمكة المشرفة والمدينة المنورة، كثيرون، وقد رأينا قريباً بمكة المشرفة خليفة خلفائه [الشيخ أحمد قطان]، رجلاً مباركاً، شهد له كل الأخوان بالخير والصلاح.

٢- الشيخ عمر فدعك:

ورأينا منهم: [السيد عمر فدعك]، ظاهر البركة، عظيم الشأن، لا يختلف في صلاحه اثنان.

(ر) المدينة المنورة:

١- الخليفة السيد أسعد:

٢- وابنه السيد أحمد أسعد.

ومنهم بالمدينة المنورة: خليفة خلفائه [الخليفة السيد أسعد]، من أجلّ من بالمدينة المنورة شرفاً وديناً وبركة، وابنه [السيد أحمد أسعد] المشهور، كان وزيراً جليلاً خطيراً، نافذ الكلمة عند مولانا السلطان عبد الحميد بإستنبول، عظيم الجاه والنفوذ، قل من يماثله هناك.

والذين انتفعوا على يده بهاتين البلدتين المشرفتين، أكثر من أن يحصوا.

وبالجملة ومن لم نعرفهم من أتباعه الواصلين أكثر بأضعاف أضعاف، ممن ذكرناهم بكثير، بلغني عنه أنه رضي اللَّه عنه ذكر عنده أحد الأولياء الكمل، بأنه يوصل في اليوم الواحد إلى اللَّه تعالى ألف رجل، ونحو ذلك، فقال رضي اللَّه عنه: لو كان زمني كزمنه لأوصلت في اليوم الواحد، سبعين ألفاً إلى اللَّه تعالى، رزقنا اللَّه لحظة من لحظاته، وغمرنا بهاطل فيضه، وعميم بركاته.

الفصل السادس

نسبه رضي اللَّه عنه

أما نسبه الشريف، قدس اللَّه سره، فهو السيد الشريف الحسيني الحسني، العارف باللَّه تعالى، الكامل، خاتمة العارفين وخاتم الأولياء، الفرد الجامع، الإمام الغوث القطب الأعظم، ختم أهل اللَّه، السيد محمد عثمان الميرغني المكي، أعز بيت من بيوت السادة الأشراف، ببلدة اللَّه الحرام والمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ديناً وحسباً ونسباً وولاية، وهو ابن العارف باللَّه تعالى، سيدي السيد محمد أبي بكر، كان صدِّيقاً كاملاً، قال فيه ابنه الإمام صاحب الشأن، في شرح أساسه: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، بعد وفاة والدي، فقلت: يا رسول اللَّه أين والدي؟، فقال لي: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

ابن الغوث الفرد الجامع، القطب الأكبر، سيدي السيد عبد اللَّه الميرغني المحجوب، كان على أعظم حالات الظهور، شديد السطوات والنور، تزعن له ملوك مكة المشرفة وتخدمه، وتخضع لأمره ونهيه. وفمن ذلك أن الشريف سرور، ملك مكة، لما توفي والده، وكان ملك مكة، أخذ الملك عمه أخو والده، فحصل له ضيم شديد من عمه، فقدم إلى السيد عبد اللَّه الميرغني بالطائف، فوجد الباب مغلقاً، ووجد جماعة يخدمون الطين في بناء له، فجعل ينقل الطين معهم، وسيدي عبد اللَّه بغرفة عالية ينظر إلى ذلك، فعرفه فيهم حين رآه، فتركه ينقل معهم إلى أن استكمل سبعة عشر دورة، يحمل الطين على كتفه، ثم طلبه فأدخله عليه، فلما سلَّم عليه، قال له: ما حاجتك؟، فقال ملك مكة، مقام أبي، فقال: يا ولدي ملك مكة غار، أطلب ما تريد من غيره من ظاهر أو باطن، تجده إن شاء اللَّه تعالى، فقال له: يا سيدي، لا أطلب غيره، فقال له: أعطيتك ملك مكة، وأعطيتك الولاية بإذن اللَّه تعالى، فكان الأمر كما قال له، نزل مكة فاستولى على

ملكها، فما أدري هل وجد عمه توفى أم كيف كان الأمر، وصارت تضرب الأمثال بعدله واستقامته، وكان من أعظم ملوك مكة وأعدلهم، توضع في زمنه حوائج المسلمين على الطريق، في المفاوز الخالية بين مكة والمدينة، المدد الطويلة فلا يقدر أحد من الأعراب أو غيرهم على أن يأخذ منها شيئاً، وكان ذا كشف ظاهر ونور باهر، ملك مكة سبعة عشر سنة، على عدد تردده في نقل الطين، الذي مرَّ ذكره، فذريته إلى هذا الآن في غاية الإعتقاد والإنقياد إلى بيت المراغنة.

وكان السيد عبد اللَّه الميرغني المحجوب رضي اللَّه عنه لا يقوم لأحد، ولو لشريف مكة أي أميرها، ولا يقوم أحد بمجلسه لأحد مهما عظم وجل، وإنما يجلس حيث ينتهي به المجلس، هيأ قبره في حياته، وختم فيه القرآن سبع آلاف مرة، واحتجب في بيته عن الناس ثلاثين سنة، والكلام في حقه يخرج بنا عن الاختصار المطلوب.

وهو ابن السيد إبراهيم بن السيد حسن بن السيد محمد أمين.

ابن السيد علي ميرغني، ومن هذا السيد العظيم كان لقب أفراد هذا البيت العظيم بالميرغني، والسيد علي ميرغني هذا هو الذي حضر من خراسان إلى البلاد المقدسة، لأداء فريضة الحج الشريف، وزيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وكانوا ملوكاً بخراسان، فترك الملك لأخيه مختار، واختار جوار بيت اللَّه الحرام، فسكن مكة، فكانت تجله وتعظمه الأمراء والأشراف، وقادة البلاد وعلماؤها، منتهى الإجلال والإكرام والإعظام، وترفع مستواه في نواديها ومجتمعاتها كإجلال ملك محبوب مطاع، وكان نافذ الكلمة مسموعها عند الجميع. وفي أثناء وجوده بمكة كانت الوفود تفد عليه من خراسان، ومعها من الهدايا والأموال الثمينة والجواهر النفيسة الشيء الكثير، لما له من المرتبة الرفيعة، والسيادة والمكانة السامية بتلك البلاد، كما أسلفنا ذكره، فضلاً عن شرفه السامي وسيادته.

وقيل أن السيد علي ميرغني، رضي اللَّه عنه، أراد في ذلك الوقت أن يفهم أول من وفدوا عليه، بهدايا نفيسة وتحف، من أهل تلك البلاد أي خراسان، بقصد أن يخبروا من وراءهم أنه غني باللَّه، بما آتاه من فضله عن الغير والسوى، وأن قبوله لمثل ذلك إنما هو لمحض جبر خواطرهم، ولمراعاة عواطفهم وأحساساتهم ومحبتهم له، فعل لهم مأدبة، أي للوافدين عليه من خراسان، ودعاهم إليها عنده، فلما جلسوا حول المائدة، وكان موضوعاً عليها آنية الطعام، وهي مغطاة بأغطيتها، فرفعت الأغطية عن الآنية، فإذا الذي بها ليس بطعام، بل جواهر نفيسة، وأحجار كريمة وذهب ونحو ذلك، فاندهشوا وانبهروا .

ولهذا السيد العظيم بركات، وأسرار باهرة وكرامات ظاهرة، تركتها خشية الإطالة، وهم إلى وقتنا هذا، أي وقت تأليف هذا الكتاب، كانوا يتواصلون بكتب المودة والسلام بينهم.

ابن السيد حسن ابن السيد ميرخورد، والسيد حسن هذا، أو الذي قبله، هو الذي لما فتح قبره لشأن اقتضى ذلك، وجد جالساً يتلوا القرآن، فقال لمن رأوه: أقامت القيامة؟، فولوا وتركوا القبر، واخبروا بما رأوه أولي الأمر، فجاءوا وأوصدوا القبر.

ابن السيد حيدر بن السيد حسن بن السيد عبد اللَّه بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد حيدر بن السيد ميرخورد بن السيد حسن بن السيد أحمد بن السيد علي بن السيد إبراهيم بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد أبي بكر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد إسماعيل.

ابن السيد ميرخورد البخاري، وكان عظيم الشأن ببلاد بخارى، فايق العظمة والشهرة، والصيت والجاه والنفوذ، والمكانة السامية في تلك البلاد كملك فيها، وكانوا يسكنونها في ذلك الوقت، وقد اشتهر بهذا اللقب هناك، وهذا السيد العظيم هو الذي انتقل من بلاد بخارى إلى بلاد خراسان.

ابن السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن الإمام علي التقي بن الإمام حسن الخالص ابن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين سبط رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم اللَّه، وجهه ورضي اللَّه عنه، كما وأن سيدنا الحسين هو ابن السيدة فاطمة الزهراء،سيدة نساء العالمين، وبنت رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، سيد الخلق أجمعين، ونسأل اللَّه أن ينفعنا به، وأن يحققنا رحمة منه بسره آمين.

وفي هذا النسب الشريف، قلت شعراً:

نسب سماء الكون تحت علاه ... والعرش منه وكل ما سواه

كل الوجود بسره متماسك ... والواحد الرحمن منه بناه

لما تهافت بالتلاشي مائعاً ... لطفاً به رب العلا رساه

فتماسكت أجزاؤه واستحكمت ... وثوى وقر كما أراد اللَّه

فجميع الخير من مواهب فيضه ... حقاً وكل الفضل من رحماه

الأمر منه بدأ ويرجع عايداً ... منه إليه به كما أنشاه

اللَّه جلَّ ثناه عظَّم قدره ... وحوى جميع الخير في نعماه

نار الوجود به ولولا نوره ... عاد الوجود لغيبه لولاه

كل المجال سابقاً أو لاحقاً ... كالرشح أو كالرش من مجلاه

سبحان من مد الكمال جميعه ... لأولي النهى والفضل من يمناه

وإقامة للكائنات جميعها ... ظلاً ظليلاً من جلال ثناه

لولاه أحرقت الورى صيحاته ... فيه بقاء الخلق من مولاه

صلَّى عليه اللَّه ما كشفت به ظلم العماء وأشرقت اسماه
وأتم نعمته عليه له وأذاقنا فضلاً جزيل نداه
والآل والأصحاب ما بقي الوجود منعماً في ظله وربـاه

الفصل السابع

في ذريته لصلبه وذريتهم

ذريته لصلبه:

أما ذريته لصلبه رضي اللّٰه عنه فكثيرون جداً، فقد سمعت من ابن أخيه، يتيمة الدهر، العلامة المحقق، اللوذعي النحرير المدقق، السيد أحمد بن السيد عبد اللّٰه ميرغني، مفتي بلد اللّٰه الحرام في وقته، وواحد عصره وزمانه في العلم والورع، والصدق والعمل، قال: سمعت من والدي يتكلم مع أخيه الإمام السيد محمد عثمان، رضي اللّٰه عنه، قال له: يا أخي، قد دفنت من ذريتي عدداً كثيراً، وذكره، فقال له عمي المذكور: وأنا يا أخي، أني قد دفنت من ذريتي أكثر بكثير مما ذكرت، ما بين ذكور وإناث.

(١) السيد محمد سر الختم:

فأما ابناؤه الذين بلغوا حد الرجولة، وتزوجوا وولد لهم، أو راهقوا البلوغ، فستة: أكبرهم سناً، تاج العلماء وجهابذة ذووا الأفهام، السيد محمد سر الختم، رضي اللّٰه عنه، لقبه الإمام بهذا اللقب، كان ثاقب الفهم تضرب به الأمثال، شديد الفهم والحفظ، كثير التواضع، تقياً، ورعاً، عالماً بحراً علامة، جهبذي عارفاً حبراً، أوحداً، فهامة، ألَّف تآليف بارعة في شتى الفنون، له اليد الطولى والصناعة العليا في هذا الميدان، وتآليفه رضي اللّٰه عنه تشهد له بديهة بسعة علمه، وكمال معرفته باللّٰه، كثير الإطلاع، وشرح المولد، تأليف والده الإمام، شرحاً بليغاً في مجلد ضخم، أشبع فيه القول من جميع الفنون، لغة ونحواً وحديثاً وسيرة ومعرفة باللّٰه، وغير ذلك، وشأنه رضي اللّٰه عنه فوق ما قلناه فيه.

أولاد السيد محمد سر الختم ثلاثة:

١- السيد محمد سر الختم:

له من الأولاد بقيد الحياة ثلاثة: أكبرهم السيد محمد سر الختم، وهو الآن بمصر، كريم الأخلاق، لين العريكة، ثاقب الفهم، بحراً زاخراً في العلم، حبراً مثل أبيه، بل هو وارث لوالده في ذلك الشأن، وهو أكبر الموجودين الآن سناً من ذرية الإمام، وقد أذنه عمه أستاذنا السيد محمد الحسن بحياته في الطريقة، وألقى إليه مقاليدها بأرض الحرمين ومصر ونواحيها، ورؤيته تكفي عن التعريف عنه.

٢ - السيد عبد اللّه المحجوب:

وابنه الثاني السيد عبد اللّه المحجوب، وهو الآن بمكة، وتعتريه الأحوال والجذب كثيراً، وله بركات ظاهرة وكرامات باهرة.

٣ - السيد محمد عثمان تاج السر:

وابنه الثالث السيد محمد عثمان تاج السر، وهو الآن بسواكن، على الديانة الكاملة والاستقامة التامة، وكرم الأخلاق، وله دواوين مستعذبة في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وطريق القوم والمحبة في اللّه، ورؤيته كافية عن التعريف عنه، وكل منهم متزوج وولد له.

(٢) السيد عبد اللّه المحجوب الباب:

وثاني أبناء الإمام الختم، هو السيد عبد اللّه المحجوب الباب، قال فيه والده الإمام في شرحه لراتبه، عند ذكر اسمه رضي اللّه عنه، تعريفاً له وتنويهاً عن رفعة شأنه، وعظمة قدره، ما نصه: [هو السيد عبد اللّه ابن الإمام الختم صاحب الراتب، كان آية من آيات اللّه الباهرة، وله أسرار ظاهرة، ويخبر في كشفه عن العرش والفرش، وشهد له الأخوان بكثرة إدراكاته في الشدائد، وإمداداته في كل الأحيان في الأمور الصعبة، وجعلته

الحضرة باباً لأبيه، وألحقته بالراتب في هذا المحل، لتعظيم شأنه، والدعاء عند ضريحه مستجاب، ومدده حاضر لكل من يتوجه إليه بلا إرتياب] انتهى ما قاله فيه، توفي رضي اللَّه عنه قبل المراهقة بمكة المشرفة، وكان أحب أبنائه إليه، وما روي أنه تألم على موت أحد من أولاده، مثل ما تألم عليه، وروي عليه ضعف البدن من بعد موته كثيراً، سمعت من أستاذي السيد محمد الحسن يحكي عن أخيه المذكور: أنه كان كثيراً ما يتجنب عن أكل ما فيه الروح، ويتكلم في العالم الأعلى والروحانية العليا، ويقول للحاضرين معه: ألا تنظرون إليهم، ونحو ذلك، وألَّف فيه بعض الأخوان الملازمين للإمام، والناظرين والمطلعين على كثرة كراماته، مناقب جليلة، منبئة عن عظمة قدره، ورفعة مكانته، رضي اللَّه عنه، ونفعنا به وببركاته في الدنيا والآخرة، آمين.

(٣) السيد جعفر:

وثالث أبناء الإمام العارف باللَّه تعالى الكامل، السيد جعفر، كان عالماً بحراً زاخراً، حبراً عظيماً، جليل القدر والمكانة في أعين الخلق، وفد إلى السودان من الأراضي المقدسة عام ١٢٧٥ ، خمسة وسبعين بعد الألف والمائتين، ومكث بها نحو السنتين، وقابل بها أخاه أستاذنا السيد محمد الحسن، وأكرمه إكراماً لا مزيد عليه، ورجع إلى مكة بعد ذلك، وتوجه إلى المدينة المنورة، ورجع إلى مكة وتوفي بها حال وصوله، وأنبأنا أستاذنا السيد محمد الحسن عن وفاته، في يومه الذي توفى به، وهو بالسودان، وله ديوان عظيم في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، من رآه شهد له بالمعرفة الكاملة، وألقى إليه قياد الإذعان والتسليم، وله كرامات كثيرة، وبركات ونفحات عظيمة، يخرجنا ذكرها عن الاختصار، وخلف من المذكور، ابنه السيد بكري، وتزوج بابنة عمه السيد محمد الحسن، السيدة فاطمة، وولد منها بنتاً، وهما الآن بقيد الحياة، وله ولدان من غيرها، السيد جعفر والسيد الحسن.

(٤) السيد إبراهيم:

ومن أبناء الإمام لظهره، السيد إبراهيم، وهو الرابع في العدد بهذا الكتاب، ولد قريباً من وفاة الإمام والده، وعاش حتى بلغ، وولد له من أم ولد، وتوفي بسنكات، بجبال البحر الأحمر، ونشأ تنشئة حميدة، وكان أشبه أولاد الإمام به، وضريحه هناك أشهر من أن يذكر.

(٥) السيد هاشم:

ومنهم ابنه لصلبه السيد هاشم، وهو بقيد الحياة، يقيم ببندر مصوع من عدة سنوات، وتزوج كثيراً، وولد له بنتان وولدان، البنتان هما: الشريفة مريم الميرغنية، والشريفة علوية الميرغنية، والولدان هما: السيد محمد عثمان الميرغني، والسيد حسن الميرغني، توفيا صغيرين، وهو من رجال اللّٰه الكمل العارفين باللّٰه، وله دواوين في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ذو كرامات ظاهرة، ولما كان بقرية والده السنية، أي الختمية، أساء رجل الأدب معه، فبمجرد خروجه من عنده أصيب في عقله بالجنون، والعياذ باللّٰه، ولم يبق من ذرية الإمام لصلبه الآن، في زمن تأليف هذا الكتاب، إلا هو وأخته لوالديه، السيدة مريم وهي الآن بطوكر، لم يأذن لها عمال المهدية بالحضور لسواكن.

(٦) السيد محمد الحسن:

والسادس في عددنا بهذا الكتاب، ابنه لصلبه أستاذنا السيد محمد الحسن الميرغني، رضي اللَّه عنه وأرضاه، ورضى عنا به، وحققنا بمنازل قربه، وهو بعد أخيه السيد محمد سر الختم، أكبر أولاد الإمام القطب الختم المذكورين سناً، وأخرناه لطول الكلام عليه، لأن السائل أكد علينا في الإبانة عن شأنه خصوصاً، أكثر من غيره، فلزم الحال إلى ذلك وفق طلبه، ولنختتم به ذكرهم، رضي اللَّه عنهم أجمعين.

فهو رضي اللَّه عنه رفيق والده في الكمال، وقرينه في مراتب القرب والوصال، ولد رضي اللَّه عنه، أعني القطب الغوث الفرد الجامع، صاحب الكشوفات الربانية والمشاهدات المحمدية، سيدي السيد محمد الحسن ميرغني، بقرية من قرى كردفان، يقال لها باره، قبل مجيء الترك، وملكهم لتلك الجهات، بستة أشهر، بلغ الإمام خبر ولادته وهو بشندي.

ومن دلائل فضله وشواهد كراماته، وفضله الذي منحه اللَّه إياه، أنه كان بجهة البلد الذي ولد به، رجل صالح ظاهر الولاية والكشف، مجذوب، يقال له [الشيخ مصطفى]، يرقد في المحل الواحد السنة الكاملة، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، ثم يقوم بعد ذلك كأنما نشط من عقال، كان إذا رأى والدة هذا القطب، وهي بنت صغيرة، يحبها ويباسطها، ويقول لها أم الكبير، فقيل له: هي اسمها [رقية]، فكيف تقول لها أم الكبير؟، فقال لهم: سيأتي في هذه البلاد بعد هذا الزمان، رجل شريف من أهل مكة المشرفة، من أعظم أولياء اللَّه تعالى، ويتزوج بهذه البنت، وتلد له ولداً، يكون من أكبر أولياء اللَّه شأناً، فهذا معنى كلامي الذي أقوله لها.

فلما وصل الإمام بكردفان، وأراد الزواج بها وعقد عليها، كان ليلة من الليالي راقداً على فراشه، وبقربه تلميذه الخليفة سالة، وكان من أعظم تلامذته وأعيانهم، قال: رأيت

القطب الختم تضمحل ذاته على فراشه، قليلاً قليلاً، إلى أن صار ماء، ثم جعل يتراجع شيئاً فشيئاً، وتستبين ذاته تدريجياً، إلى أن عاد كما كان، ثم قام فدخل بيته، ورجع بعد ساعة، فلما سكن ما بي من الروع، طلبني فحضرت إليه، وقضيت له ما أمرني به، ثم سألته عن تلك الحالة التي رأيته فيها، فقال لي: أنت رأيت ذلك ؟، فقلت له: نعم، فقال لي: أني تلوت الاسم الأعظم، راجياً من اللّٰه أن يرزقني ابنا صالحاً، وعادة الاسم الأعظم في أوائل أمره، يفعل بتاليه مثل هذا، وأني أرجو اللّٰه أن يرزقني ما رجوته منه، فحملت به والدته في تلك الليلة.

وحكى لنا رضي اللّٰه عنه أن له أحوالاً، ومشاهدات في حال صغره، واجتماعات بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وبأبي العباس الخضر عليه السلام، وأرواح الأنبياء والأولياء، ورقائق الأسماء التسعة والتسعين، من وقت ولادته إلى كبره، لم تحجب عنه، وحكى لنا في ذلك المعنى حكايات غريبة، رزقنا اللّٰه الإيمان بذلك والتصديق، أنه ولي الهداية والتوفيق.

وذلك أنه قال مرة بعد أخرى، في جمع من أتباعه: أني لأذكر ساعة ولادتي ويومها، وأذكر النسوة اللواتي حضرن، وأعقل ما يتكلمن به مع بعضهن، فتعجبنا من كلامه، مع عدم إرتيابنا في صدقه، ومثل هذا واقع من أهل اللّٰه كثيراً، ومدون في تآليفهم وكراماتهم، وفي كلام سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام كفاية، وكل معجزة لنبي يجوز أن تكون كرامة لولي.

وبعد أن تم له من العمر نحو سنتين أو ثلاثة، سافر به وبوالدته، خاله الحاج إدريس جلاب، إلى بلاد الحجاز بطريق دنقلا، إلى الريف، إلى أن وصل مكة المشرفة، فوجد سيدي أحمد بن إدريس بمكة، فأقاموا معه أشهراً عديدة، والإمام إذ ذاك بمصوع، ثم إن والدة سيدي محمد الحسن، طلبت من سيدي أحمد يوماً من الأيام، أن يدعو له بالبركة،

لعل اللَّه أن يجعله من أهل الولاية العظمى، فقال لها سيدي أحمد: [ابشري، فإن ابنك هذا قائد زمام القافلة الأقدسية]، ثم أن خاله المذكور توجه به وبوالدته إلى الإمام بمصوع، فأقاموا بها معه أشهراً عديدة.

ثم توجهوا جميعاً إلى بلاد كسلا، وأقاموا بقرية السنية، أي الختمية مدة، ثم أن خاله الحاج إدريس المذكور، طلب من الإمام أن يتركه ليتوجه به وبوالدته إلى بلادهم بكردفان، فأذن لهم، وتوجهوا، وأقاموا بكردفان، إلى أن بلغ سيدي محمد الحسن من العمر نحو الأربعة عشر سنة.

ثم أن أخواله توجهوا به إلى الحجاز، بطريق شندي وبربر، عن طريق سواكن، كطلب والده الإمام، فلما وصلوا بمكة تركوه هو ووالدته عند والده، ورجعوا إلى بلادهم، فأقام مع والده مدة.

ثم تعلقت همته بطريق أهل اللَّه، وجعل يلتمس الأوراد، من جميع من يظن فيهم الخير والبركة، وأخذ ورد البسملة، وجعل يشتغل بذلك الورد، إلى أن دخل به خلوة تسعة عشر يوماً، بمسجد سيدي عبد اللَّه بن عباس بالطائف، ويوم تمام التسعة عشر يوماً، رأى سيدي أبي العباس، الخضر عليه السلام يقظةً، داخلاً عليه من الجدار من غير الباب، فهاله ذلك، فقال له بقهرٍ: [اترك الورد الذي تشتغل به، وقل يا حي يا قيوم، واشتغل به سبعين ألفاً ليلاً، وسبعين ألفاً نهاراً، كما أمرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ البارحة]، وكان قد رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ليلة ذلك اليوم، قال له: [أن اللَّه أمر أبي العباس الخضر عليه السلام، أن يتولى تربيتك وإرشادك، وإذا أتاك فافعل كما يأمرك].

فاشتغل باسمه الحي القيوم بالعدد المذكور، في الجبال ما بين الطائف ومكة، صائماً لا يأكل إلا بعد ثلاثة أيام، أكلة خفيفة، إلى أن استكمل نحو الثمانية أشهر على تلك الحالة، ومرت عليه في هذه المدة شدائد وإمتحانات مهولة، فغض عنها، ولم يلتفت إليها.

ثم أنه بعد تمام تلك المدة، جاءه شيخه أبو العباس، وأمره بدخول خلوة بمكة المشرفة فدخلها، وكان في تلك المدة كلها يرى الخاتم المثلث، مرقوماً بالهواء قبالة رأسه، ويدنو منه قليلاً قليلاً، فلما استكمل تلك الخلوات، اتصل برأسه، وسرى في ذاته، فخرج من تلك الخلوات وقد تحقق بالاسم الحي القيوم، والخاتم المرقوم، فبدت منه الخوارق والانفعالات، ولا نشك نحن أنه المعني بقول والده: [بشرت بواحد يكون في رأس الدواوين الإلهية]، وصار يقلب المدر والحجر ذهباً وفضة، ويقول للشئ كن فيكون بإذن اللَّه، ويحيي بإذن اللَّه من يشاء، ولو ذكرنا ما شاهدناه منه عياناً، لبهت السامع، وعجز عقله عن القبول لذلك والتسليم.

وهام من حينئذ في حب اللَّه تعالى، وتوجه إلى المدينة المنورة، متجرداً، مهاجراً بطريق البدوان، إلى أن وصلها من بعد مدة، ولما وصل إليها، دخل خلوات أيضاً، من جملتها خلوة أربعة عشر يوماً، ما أكل فيها ولا شرب، فلما أشتد عليه ألم الجوع، أخذته سنة، فرأى فاطمة الزهراء، أتته برغيف وعسل، فأكل منه في تلك السنة، فأنتبه، وقد وجد في نفسه قوة كاملة، حتى لو أنه جلس مدة عمره من غير طعام ولا شراب ما بالى بذلك، وظفر في تلك الساعة بالسر المكنون، والكنز المخزون، الذي لا يمسه إلا المطهرون، فظهرت منه الكرامات والآيات البينات، ولا نطيل بذكرها لأنها تخرجنا عن الاختصار المطلوب.

ثم أن والده الإمام الختم أكثر عليه المراسلات، بالقدوم إليه بمكة المشرفة، فتوجه إليه، وجلس مع والده مدة قليلة، واتجها معاً إلى سواكن، فأقام مع والده بها شهرين أو ثلاثة، فأمره والده الإمام الختم بالتوجه إلى السودان، ونشر الطريقة بها، وإقامة شأنها، والدعاية إلى اللَّه، وأوصاه في الجملة بمخالطة السلطنة، وأولي الأمر ومراعاتهم، وقال له: لا تكن

مع الحكومة مثل حالنا نحن، لأن الإمام كان لا يخالط الحكام، ولا يقف على أبوابهم، كحال سيدي أحمد بن إدريس، رضي اللَّه عنهم جميعاً.

وتوجه سيدي محمد الحسن إلى السودان، وفق أمر والده له، بطريق بربر، فلما وصل إليها، كان له من القبول ومحبة القلوب، وإذعان النفوس، ما لا مزيد عليه، حتى أن مدير بربر إذ ذاك، لما رأى شدة إزدحام الخلق عليه، أوجس خيفة، فأغرى به إلى حكمدار السودان، وهو أحمد باشا حينئذ، وكان ماراً على مملكته بكردفان، فلما قرأ البلاغ الوارد عليه، في حق سيدي محمد الحسن، رد على مدير بربر: [أنا أوريك فيه]، بهذا اللفظ، فلما قدم من كردفان، كان سيدي محمد الحسن بالخرطوم، وشاع كلام أحمد باشا عند الناس، وبلغ سيدي محمد الحسن بالتأكيد من بعض من لهم معرفة بأسرار الحكومة، من أهل المحبة، فقال له سيدي محمد الحسن: [لا يرانا ولا نراه]، فلما قرب الباشا من الخرطوم، مرض فوصل وهو ملجم عن الكلام، فما تم يوماً وليلة، إلا توفاه اللَّه، وكانت تلك الواقعة أول كرامة ظهرت له بالخرطوم، في مثل هذا الشأن، لأن كراماته في غير هذا كثيرة.

ثم أن سيدي محمد الحسن المؤمى إليه، مرَّ إلى سنار، وما بعدها بقليل، ومعه جموع من الخلفاء الأخوان، ينيفون عن الحصر والعد، فأحيا الطريقة، وأشادها وأيّدها، وأقام عمادها، وهرعت الخلق لرؤيته، وأخذ الطريقة عليه، من جميع نواحي السودان، حتى أنه إذا سافر تتبعه الأكثر من التسعين أو المائة علم، أو راية كل علم، أو راية لخليفة من الخلفاء، يتبعها عدد عظيم من المريدين المتطرقين، وغيرهم.

وكان رضي اللَّه عنه مغرماً بذكر اللَّه، لا يفتر عنه طرفة عين، تمر عليه الليالي العديدة لا ينام ليلاً ولا نهاراً، ويصلي الصلوات الخمس لأوقاتها، ما رأت عيني مثله أبداً في ذلك، ولا أرى أنه يصلي الوقت قبله أحد من الناس، متجرداً عن الدنيا، لا يمسك من

الهدية التي ترد عليه من مريديه شيئاً، وإنما يفرقها على من معه وغيرهم، لا يمسي معه درهم ولا دينار، ويتمشى وسط المدينة بالجلباب، وهي المعروفة بالجلابية والسراويل، والكوفية، وعمامته في أغلب الأوقات تحت إبطه، لا يلبس تحت هذه الجلابية أو الجلباب العراقي ونحوه، ولا فوقها كالأردية والجبب والعباءات، تزوره الباشوات والأمراء وأعيان الناس، فلا يكترث بذلك، ولا يغير هيئته التي ذكرناها، رفيع الهمة في اللَّه، لا يتقيد بمقام من المقامات، ولا برتبة من الرتب.

له الكشوفات الساطعة، لا تكاد تقع حادثة الحوادث، إلا أشار بها أوضح إشارة، ينذر أصحابه إذا رأى نزول البلايا الغيبية، ويأمرهم باستعمال بعض أذكار لذلك، ويبشرهم بالواردات الإلهية، ويخبرهم في بعض الأوقات، بما يكون في ديوان الأولياء، يتحمل البلايا النازلة على الأمة المحمدية، بما لا يقدر على تحمله قطب العصر، ودائرة أهل الولاية في زمنه، محمدي الأثر، فرد الأفراد، واحد الآحاد، ترد عليه في النومة الواحدة من الوقائع النومية، ما تضيق عن إيضاحها الطروس، ويكل عن إبانتها المعقول المحسوس.

ومن كلامه رضي اللَّه عنه: [الرجل من احتجب عن نفسه باللَّه تعالى، فأضحت نفسه أجنبية عنه، فلا تطلع على ما يرد عليه من الواردات الإلهية والمعارف الربانية، لأن النفس لا تطلع على أمر محمود، إلا كدرته بأغراضها، وشابت نزاهته بأمراضها.

ومن كلامه رضي اللَّه عنه: الكامل تطوف به الأسماء الإلهية، لأن قلبه مجلى الذات العلية، كما تطوف بالعرش ملائكة الرحمن الروحانية.

ومن كلامه: إني إذا ذكرت هذا الاسم، أعني [اللَّه]، اسم الذات، أجد قوة إلهية في نفسي، يخضع لها الكون أسفله وأعلاه، ولا يحيط بكنه عظمتها إلا اللَّه.

فكان رضي اللَّه عنه السلطان الأعظم على دائرة الكون، يعزل ويولي ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، بإذن اللَّه، وتأييده القوي الأمنع، ولا يتعرض له متعرض بسوء إلا اختطفته سطوات الجلالة الإلهية، لتحققه باللَّه، وتقلده بسيف البطش الإلهي.

جميل الذات، أسمر اللون، كث اللحية، مربوع القامة، أقرب إلى النحافة من الضخامة، مبسوط الوجه، حسن البشاشة، جواد، كريم، تضرب بكرمه الأمثال، كثير الحشم والأتباع، وينفق في اليوم الواحد على السائلين المبالغ الطائلة، ليس للدينا عنده قدر ولا قيمة، كامل الرأفة والرحمة والشفقة بهذه الأمة، يهتم في إصلاح أمورها الدينية والدنيوية، جلساؤه الذين يطمئن قلبه عليهم وتميل عريكته إليهم الفقراء والمساكين، والمسامرون له بالمذاكرة في طريق أهل اللَّه، وحضائرهم الإختصاصية، ومواجيدهم القلبية، ملازماً لتلاوة القرآن، بعد الظهر غالباً، يتواجد عند تلاوته، ويسكب الدموع الغزيرة كالوابل الهتان، ويكثر من البكاء في بعض الأوقات حتى يخشى عليه.

له اليد الطولى في علم الحكمة، وسر الأوفاق، وحقائق حضائر الأسماء، يعرف الرجال باللَّه، لا تقع عينه على أحد إلا عرف أين منزلته عند مولاه، ولو قلنا ما سمعنا منه في هذا الشأن، لحارت العقول وتاهت الأذهان.

وكان رضي اللَّه عنه يعطي الطريقة الختمية، و القادرية، والشاذلية، والجنيدية، والنقشبندية، كإذن والده الإمام له بذلك.

وقد كان رضي اللَّه عنه عوناً عظيماً للحكومة، في كل ما فيه الخير والنفع العام للبلاد والعباد، يسدد خللها، ويطفيء نيران الفتن، التي تتحرك عليها، ويحذر الأهالي وأعيان البلاد عن الخروج عليها، بسوء عواقب ذلك، ويحثهم على الطاعة والإذعان لقوله تعالى: {أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}.

ولما ثارت فتنة الجهادية بكسلا، وهم الجنود السود بالتاكا، أي كسلا، والتجأت إليه ولاة الأمور في إطفائها، قال رضي اللَّه عنه: [هذه الفتنة العظيمة، أي ثورة الجنود السودانية التي في عام ١٢٨١، التي حضرناها لا بد أن يطفئها اللَّه، ويستقيم أمر الحكومة بعدها مدة من الزمن، وأما ثورة العرب التي سوف تقوم فيما بعد، فإنها لن تنطفي حتى يكون من شأنها ما يكون، وسيأتي بعد ذلك حكم آخر في هذه البلاد، غير حكم الأتراك.

وكان رضي اللَّه عنه يذكر قبل ذلك: ستقع في هذه البلاد التاكة، أي كسلا، فتنة شنيعة، وأن إطفائها موقوف علينا، لما قدره اللَّه جلَّ وعلا، فما مضت مدة حتى وقعت ثورة الجهادية العظيمة على الدولة المصرية،وهم الجنود السود النظاميون، وكانت حرب شديدة بينهم، وبين الجنود غير السود، الذين كانوا موالين للحكومة، وكانوا من الجنود غير النظامين، وكان تفوق الجنود السود، وانتصارهم أمراً محققاً، لا يشك فيه أحد، لأسباب جمة كانت ظاهرة ومعلومة لدى كل الناس، منها كثرة عددهم الفائق، وهم جند نظامي، وقلة عدد الآخرين، وهم ليسوا كذلك، بل قد انتصرت الجنود السود فعلاً، انتصاراً باهراً، لو استمر كانت عواقبه سيئة جداً نحو الحكومة، وهو الأمر الذي كانت الحكومة تتوقعه، وتخشى عواقبه السيئة للغاية القصوى على السودان كله.

وكان سيدي محمد الحسن، رضي اللَّه عنه، إذ ذاك خارج كسلا، ببلدة يقال لها سبدرات، تبعد بضعة ساعات عن كسلا، وأرسلت إليه الحكومة عدة رسل، تطلبه الحضور لإطفاء هذه الثورة، بعد أن ترددت عليه رسل من الحكومة، جاء رضي اللَّه عنه فوجد الحرب قائمة ناشبة بينهم، وعلى أشد حالاتها، فدخل بينهم، وهم في غاية شدة حربهم، ولم يبال من ذلك، وعندما رآه الجنود السود هرعوا إليه، يقبلون يديه ورجليه، كأن لم يكن هناك حرب، فأمر رضي اللَّه عنه النظام، أي الجنود السود، أن يكفوا عن

القتال، فأمتثلوا واطاعوا أمره في الحال، وانطفأت نيران الحرب في خمس دقائق عددية، فكانت كرامة شهيرة يذكرها الصادر والوارد، لأن إمتثالهم لأمره إذ ذاك، لا يكون إلا بسر من اللّٰه، وقد انطفأت نيران تلك الفتنة، وانتهت تلك الثورة على يده، رضي اللّٰه عنه، كما قال، وقد هددت تلك الثورة السودان كله، بشر مستطير عظيم، لا يعلم عاقبة أمره إلا اللّٰه تعالى.

وتزوج رضي اللّٰه عنه بالسودان ثلاث نسوة، دخل بهن، وولد له منهن، وتزوج بالرابعة ولم يدخل بها، وولد له من الأولاد، ثلاثة ذكور وثلاث أناث، مات منهم ابن وبنت صغار، وتوفي ابنه السيد أحمد، وعمره نحو الثلاثين سنة.

وعاش خليفته السيد محمد عثمان من بعده، حتى تزوج، وولد له ولدان وبنتان، السيد أحمد والسيد علي، والسيدة فاطمة، أي السيدة نور، والسيدة نفيسة.

وأما بنات السيد محمد الحسن فهن: السيدة نفيسة، والسيدة فاطمة، وهما الآن بالسودان، تزوج بالسيدة نفيسة ابن عمها، السيد عبد اللّٰه المحجوب بن سر الختم، وولد له منها ولد وبنت، وتوفي الابن، وبقيت البنت، وتزوج بالسيدة فاطمة ابن عمها السيد بكري بن السيد جعفر، وولد له منها بنت، والجميع الآن بالسودان بأم درمان، مع ابن أخيهما السيد أحمد بن السيد محمد عثمان.

وبالجملة فابنه السيد محمد عثمان، هو كما ذكرنا خليفته ووارثه، وكان يحبه كثيراً، وينوّه عن شأنه، ويقول: هو على أثر جده الإمام الختم في الطريقة وغيرها، وقد كان كما ذكر فيه، عاش من العمر تسعاً وثلاثين سنة، وتوفي رضي اللّٰه عنه بمصر، وضريحه بها ظاهر، وله مشهد ومولد في كل عام.

وقد توفي الغوث القطب سيدي محمد الحسن، قدس اللّٰه سره، ١٢٨٦، سنة ألف ومائتين وست وثمانين بالختمية، ودفن بها بمكان معلوم، كان يجلس فيه كثيراً، ويشير

إليه أن يكون في هذا المكان شأن عظيم، وكنا نتعجب من الشأن الذي يكون لهذا المحل، حتى دفن رضي اللَّه عنه فيه، فعلمنا معنى إشارته، دفن معه ابنه السيد أحمد.

وقد بنى عليه ابنه سيدي السيد محمد عثمان قبة عظيمة، لا يوجد لها في بلاد السودان قاطبة نظير، ولهذه القبة العظيمة بابان عظيمان، من خشب السيسم أو الساج، صنعا لها خصيصاً في الهند، وأحضرا من هناك، والباب الثاني من الجهة الجنوبية، مما يلي الجامع، وللقبة أربع نوافذ كبيرة، عليها شبابيك ضخمة، من النحاس الأصفر الجميل الصنع، وهي نافذتان في الجهة الشمالية، ونافذة في الجهة الشرقية، وأخرى في الجهة الجنوبية، ونوافذ القبة مربعة الشكل من الخارج، معقودة أقواساً من الداخل، وقد وضع في تجاويف الأقواس المنحنية الزجاج الملون، ويوجد في قاعدة بيضة القبة، بضع نوافذ على استدارة القاعدة، وضع عليها الزجاج الملون، بأشكال جميلة، فتظهر من الداخل بإنعكاس النور عنها، ذات منظر بديع، والبناء شاهق، عظيم العلو، حتى أن القبة تظهر للناظر من مكان بعيد، قبل الوصول إليها، وهو مبني بالأجر الشديد الصلابة، ولون البناء من الداخل والخارج هو اللون الأبيض الناصع.

وعلى ضريح الغوث القطب سيدي محمد الحسن، رضي اللَّه عنه، داخل القبة مقصورة عظيمة، من النحاس الأصفر الذهبي اللون، بديعة الصنع للغاية القصوى، صنعت في مصر، وهي من نوع أحسن المقاصير، التي على أضرحة آل البيت العظام هناك، أي بمصر، رضوان اللَّه عليهم، وقد أحضر معها خصيصاً صانع ماهر، من أمهر الصناع هناك، لأجل تركيبها وما إلى ذلك، يأخذ مرتباً يومياً حسناً من النقود، منذ قيامه من مصر، وإلى أن عاد إليها، على بعد مشقة وطول المدة، هذا عدا نفقات سفره.

وعلى الضريح داخل المقصورة كسوة رائعة الجمال، وهي من الديباج الأخضر، مطرزة بقصب الفضة الخالصة المذهب، تطريزاً بديعاً، بأشكال في منتهى الجمال، وكتب عليها

بقصب من أسلاك الفضة الخالصة والذهب، بخط بديع، وعلى جوانب الكسوة الأربعة قمرات جميلة مستديرة من الديباج الأحمر، كتب عليها بأسلاك الفضة البيضاء النقية، وقد صنعت هذه الكسوة في مصر، وفي القبة علمان كبيران، أحدهما من الديباج الأخضر الثقيل، والآخر من الديباج الثقيل الأحمر، وكتب عليها بخط فائق الجمال، بقصب فضي وذهبي، وعليهما قلل كبيرة، وأهلة من الفضة الخالصة، وفي القبة بضع شمعدانات كبيرة من الفضة الخالصة للاستضاءة، وهي بديعة الصنع، جميلة الشكل، منها أمام الضريح أربع شمعدانات عظيمة، أعلى من طول القامة، وقواعدها مما يلي الأرض، مستديرة كبيرة كالصينية، وكل تلك الشمعدانات هي صنع أمهر الصناع الصاغة بالسودان، في ذلك الوقت، وقد ضربنا صفحاً عن ذكر التحف، والأشياء الثمينة الكثيرة، خشية الإطالة إذ القصد الدلالة.

وخلف مقصورة سيدي محمد الحسن، مقصورة ابنه سيدي أحمد، رضي اللّٰه عنهما، وهي دقيقة الصنع، مصنوعة من خشب الأبنوس الأسود الجميل، وقد بذل صانعوها منتهى المهارة في صنعها، وهم أمهر من عرفوا إذ ذاك في هذه البلاد، وعلى ضريح سيدي أحمد بن سيدي محمد الحسن كسوة ثمينة، من الديباج الأخضر، صنعت أيضاً في مصر، وتدلى من كل ركن في سقف القبة نجفة كبيرة، بديعة من البلور.

وفي وسط القبة تدلت نجفة عظيمة، بديعة ثمينة المثال، من البلور الفائق الجمال، تحتوي على عدد عظيم من الشموع، وبزوايا القبة الأربعة من الداخل أعمدة من الخشب، نادر النوع، ولها قواعد وتيجان، وهي ذات شكل جميل للغاية، وقد كسيت جميعها، أي الأعمدة وقواعدها وتيجانها، بالفضة الخالصة، ووضع على تيجان الأعمدة المذكورة، مصابيح نادرة المثال، كبيرة الحجم، جميلة الشكل من البلور الخالص النقي الثمين، من نوع خاص، مختلفة الألوان، فإذا أضيئت أنبعثت منها أنوار، بديعة المنظر، وتلك الأعمدة

كشكل شمعدانات عظيمة الحجم، بديعة المنظر، وعند باب القبة الغربي، يوجد عمودان، كالأعمدة التي تقدم ذكرها، وعليها مصباحان كبيران، من البلور الأخضر الجميل الشكل، وقد ركبت في جدران القبة الأربعة، على إرتفاع متساوي، وأبعاد متساوية، شمعدانات من الفضة الخالصة، جميلة الصنع، بشكل نجف صغيرة، وصنعت مخصوص لتركب في الجدران، ويحتوي كل شمعدان منها على بضع شمعات، وأرض القبة كلها مفروشة بالسجاد العجمي الثمين، هذا ذكر بعض الشيء عن ضريح القطب الأعظم، سيدي محمد الحسن للدلالة، وبالجملة فقد كان ذاك المشهد العظيم منتهى الفخامة، والرونق والجلالة.

وبنى سيدي محمد عثمان، رضي اللّٰه عنه، بقرب قبة والده الغوث الفرد الجامع القطب، سيدي محمد الحسن، قدس اللّٰه سره، على بضع خطوات منها، من جهة الجنوب، جامعاً عظيماً فخماً، عديم النظير في هذه البلاد جميعها، لم يبن ويشيد مثله في السودان كله قاطبة، في وقت من الأوقات الماضية، من عهد دخول الإسلام والعرب في السودان، وإلى الثورة المهدية.

والجامع المذكور مبني من الطوب الأحمر، الشديد القوة، الجميل المنظر للغاية القصوى، وأساسات البناء العميقة العريضة المتينة جداً، بنيت بالحجر القوي الصلب، إلى مستوى سطح الأرض، وبناء الجامع في منتهى القوة والجمال الفائق، وهو ضخم عظيم العلو شاهق، بديع النظر، وقد قام ببنائه أمهر البنائين بالسودان في ذلك الوقت، وكان يعمل فيه يومياً مئات العمال، على مدار السنين التي بني فيها، من غير انقطاع، منذ بدايته وإلى نهايته.

وفي داخل الجامع عشرات الأعمدة، عقدت عليها الأقواس العظيمة الجميلة، وبه سبع وعشرون نافذة كبيرة، أي شباكاً كبيراً، وهي مربعة الشكل من الخارج، معقودة أقواساً من الداخل، وفوق كل نافذة من تلك النوافذ الكبيرة نافذة صغيرة.

وللجامع ثلاثة أبواب عظيمة، حليت من الخارج بأعمدة وأقواس جميلة جداً، وهذه الأبواب باب من جهة الشرق، وآخر من جهة الغرب، وآخر من جهة الجنوب، ويوجد باب صغير رابع من جهة الشمال، مما يلي القبة وهو يوصل إليها، والمسافة بينها وبين الجامع، بضع خطوات فقط كما تقدم، وهذه المسافة مسقوفة على طول جدار القبة الجنوبي، بسقف متصل بجدار الجامع الشمالي، وجدار القبة المذكور.

ووضع على نوافذ الجامع الكبيرة شبابيك ضخمة، جميلة من النحاس الأصفر، الجميل اللون، وقد سبكت كلها بمكة المشرفة، خصيصاً لأجل ذلك، وأحضرت من هناك على طول المسافة، وبعدها الشاسع، وصعوبة المواصلات.

فقد انتدب سيدي السيد محمد عثمان مندوباً خاصاً، أرسله إلى مكة، لوكيله هناك، وأعطيت له الرسوم والمقاسات المطلوبة، ليكون سبك شبابيك النحاس بمقتضاها، وكان والي الحجاز المشير عثمان نوري باشا، أجرى في ذاك الحين بعض إصلاحات بالحرم المكي الشريف، واقتضى الإصلاح إزالة بعض أبنية قديمة بالحرم، فوجد فيها كمية من النحاس الأصفر، فلما علم بذلك وكيل سيدي محمد عثمان بمكة المشرفة، توجه إلى الوالي المشير عثمان باشا، وأخبره، وطلب منه أن يأذن له بأخذ النحاس، الذي أخرج من الحرم، لأجل سبك شبابيك الجامع منه، فسر الوالي كثيراً، وأجاب الطلب في الحال.

وكتب والي الحجاز إلى سيدي محمد عثمان، خطاباً لطيفاً، ضمنه عظيم مودته، ومنتهى إجلاله وإحترامه، واستعداده لكل ما عساه يلزم هناك، من أي خدمة يستطيع القيام بها، لهذا السيد العظيم، وقد سبكت شبابيك الجامع من هذا النحاس، الذي كان بالحرم الشريف.

أما خشب الأبواب والشبابيك، فقد أحضر من بلاد الحبشة، مما يلى جهة القلابات، الواقعة على حدود الحبشة على بعد المسافة، وهو نوع مخصوص من الخشب، أحمر

اللون غامت الحمرة، ذو رائحة طيبة زكية، جميل المنظر جداً، يقرب لونه من خشب السيسم والساج، وقد نشر ألواحاً بمحله، وأحضر من هناك على ظهر الإبل إلى الختمية، وقام بصنع الأبواب والشبابيك وغير ذلك، أمهر الصناع في النجارة، وأحضر أيضاً بعض مهرة الصناع من مكة المشرفة، وكانوا من أمهر من عرفوا بصنعة النجارة فيها، وقد كانت الأبواب والشبابيك في منتهى الجمال البديع، ودقة الصنع، مما لم يسبق له قط نظير في هذه البلاد.

وقد وضع على نوافذ الجامع الصغيرة، التي تعلو النوافذ الكبيرة، الزجاج الملون بأشكال جميلة، وكان في وسط الجامع قبة بديعة الصنع، من الزجاج الملون، وضع فيها الزجاج المذكور، بأشكال هندسية شتى جميلة للغاية، فإذا أنعكس عنه النور ،كان المنظر بديع الجمال.

ومنبر الجامع كان آية، في دقة الصنعة والجمال، وقد صنع من الخشب، الذي أسلفنا ذكره، وخشب الأبنوس الأسود، ومعظمه مؤلف من قطع صغيرة، ذات أشكال في منتهى الجمال، وعلى المنبر علمان كبيران، من الديباج الأخضر الخالص، كتب عليها بقصب من أسلاك الفضة الخالصة، ويعلو كلا منهما قلة كبيرة، وهلال من الفضة الخالصة.

وفي كل من يمين المحراب وشماله شمعدان عظيم من الفضة، شبيهاً بالشمعدانات الموضوعة أمام باب الكعبة الشريفة، وقد علق في سقف الجامع للإضاءة عدد عظيم، من المصابيح البلور الجميلة، لا يقل عددها عن المائتي مصباح، من نوع مصابيح القلل البلور الجميلة الكروية الشكل،المعلقة بالحرم المكي الشريف، في ذاك الوقت، ويتخلل ذلك عدد ليس بقليل من النجف الكبير، الثمين الجميل الشكل، الذي يوقد بالشمع.

وأرض الجامع مفروشة بالسجاد العجمي، والأبسطة العجمية، وقد أحضر بعض ذلك من الحجاز، والبعض الآخر من بلاد العجم، ولون الجامع من الداخل وهو اللون الأبيض الناصع.

أما من الخارج فقد كحلت جميع أطراف الطوب الأحمر في الجدران بالجير الأبيض النقي، بكيفية مخصوصة متقنة دقيقة، وعولجت كل طوبة حتى صارت نقية اللون، فصارت كل طوبة وهي حمراء خالصة، يحيط بها كبرواز أو إطار رقيق، أبيض اللون جميل متقن الصنع، مربع الشكل، حول كل طوبة، فتكون من مجموع ذلك منظر فائق الجمال.

وقد بنيت للجامع المذكور، مئذنة عظيمة جميلة، شاهقة العلو، تبلغ درجات سلمها حوالي المائة درجة، وهي متينة البناء للغاية.

وقد كان الاحتفال بإفتتاح هذا الجامع العظيم، وصلاة أول جمعة أقيمت فيه، عديم النظير والمثال، لم يشهد مثله قط بالسودان، وقد اجتمعت لحضور ذلك عشرات الألوف من الخلق، وكان يوماً مشهوداً، لم يسمع بمثله، ولم ير له نظير، وكان إمام هذا الجامع وخطيبه، هو مؤلف هذا الكتاب، وكل ما ذكرناه عن هذا الجامع العظيم، إنما هو بغاية الاختصار، لأننا قد ألتزمنا الإيجاز الكامل، في كل ما ذكرناه في هذا الكتاب.

وفي الجهة الشرقية من القبة، زاوية كبيرة فيها ثمانية عشر عموداً، عقدت عليها الأقواس الكبيرة، الحسنة المنظر، وهي أي الزاوية المذكورة، متصلة بالقبة من هذه الجهة، وليس لها جدار من هذا الجانب، إلا نفس جدار القبة الشرقي، ونافذة القبة الشرقية فاتحة فيها، وهي متصلة من جهتها الجنوبية بجانب من جدار الجامع الشمالي، وجدارها من هذه الجهة، إنما هو ذات جدار الجامع، وبعض نوافذ الجامع الشمالية فاتحة فيها، ولها باب كبير في الجهة الشرقية، وجدارها الشرقي متصل بجدار الجامع الشرقي، على

محاذاة طوله، وجانب الزاوية الشمالي ليس به حائط، بل معقود كله أقواساً على أعمدة ممتدة، على طول الزاوية، وهي متصلة بجدار القبة الشمالي، ومحاذية له في خط مستقيم، وعلو بناء الزاوية هو كعلو بناء الجامع.

وفي الجهة الغربية من القبة زاوية أخرى، ولكنها صغيرة بالنسبة للزاوية الأولى، وفيها بضع أعمدة، وهي متصلة ببناء القبة الغربي، وجدارها من هذه الناحية هو نفس جدار القبة، وباب القبة الغربي فاتح فيها، وجانب الزاوية الشمالي معقود أقواساً، وهو على محاذاة القبة الشمالي أيضاً، كالزاوية الأخرى، ولها بابان أحدهما من الجهة الغربية، والآخر من الجنوب، والزاوية المذكورة خارجة عن محاذاة الجامع من الجهة الغربية، وهي عالية البناء.

وهذه المجموعة العظيمة من الأبنية العظيمة المذكورة، أي الجامع والقبة، وما يتبعهما، متصلة ببعضها، فيرى الناظر في مجموعها منظر رائع العظمة، والفخامة والجمال، يأخذ بمجامع القلوب والألباب والأبصار.

وكان رضي اللَّه عنه يريد أن يبني حول الرحبة الكبيرة، الواسعة الكائنة أمام القبة، أروقة متسعة، على مثال الأروقة التي بالحرم الشريف، بمكة المكرمة، لتدريس العلم فيها، لأنه رضي اللَّه عنه كان عازماً أن يجعل هناك معهداً للعلم، لا يكون له في وقته نظير في هذه البلاد، وقد حال دون ذلك، ما صارت إليه حالة البلاد، من قيام الثورة والحروب فيها، وقد خربت جميع تلك الأماكن، التي أسلفنا ذكرها في الثورة المهدية، ولم يبق منها إلا الآثار.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، فأقول: وقد ذكرت من أمر أستاذنا، السيد محمد الحسن، ما قد شاهدته، ووقفت عليه من الثقات، ولم نذكر من شأنه إلا النذر اليسير،

طلباً للاختصار، الذي بنينا عليه هذه الإجابة، وإلا لو أردنا استقصاء تاريخه، لشحنا منه الأسفار والمجلدات.

وفيه قلت شعراً:

مولاي سلم بقدر الذات من أزل ... على وليك مجلى الذات في القدم

وحيه منك بالأسماء أجمعها ... وبالحضائر من غيبوبة العظم

واجعله بيت تجليك الأعم ومثواك ... المحيط بكنه المشهد الفخم

وافتح به كنز علم الذات وأجل به ... عين البصائر واكشف داجي الظلم

وامطر على قبره الأسمى ومشهد ... غيث الكمالات بالأسرار والحكم

وعطر الكون من ريا ميامنه ... فيضاً مدى الدهر من أفضالكم يدم

يا قبلة الذات يا أعلى مظاهرها ... يا كعبة اللَّه يا فيض الهدى العمم

يا بهجة الدهر يا تاج الكمال ويا ... سر الوصال ويا بحبوحة الكرم

يا دوحة المجد يا روح الوجود ويا ... شمس الشهود الذي مرماه لم يرم

عين العبودة يا مجلى الألوهة يا ... من بالتجلي العظيم الذات قد يقم

يا ذات أحمد يا وجه الوجوه ويا ... من لم يزل أبداً باللَّه معتصم

يا حاجباً سبحات الوجه من حرق ... الأكوان يا نورها الواقي من العدم

يا برزخ الجمع بين العبد والأحد ... المعبود يا مرتضى يا قدوة الأمم

يا مجتلى نور قرآن الحقائق يا ... تفصيل فرقانها بالآي والكلم

يا واهباً خلع التأييد منه على ... كل الأكابر من حضرات قدسهم

هب للذي قد تولى أمر خدمتكم ... عثمان نجلكم يس قلبهم

وصنوه أحمد أكسير حضرتكم والسيدات وعمم كل منتظم
وألحق خُديْمكم يا سيدي بكم واجعله عينكم بالواحد الحكم
وصلى ربي على المختار ما برزت ذات التجلي إليهم منهم بهم

وقلت فيه، رضي اللَّه عنه:

مني سلام بذكر اللَّه مقرون على الإمام الذي يسمو به الدين
شمس الهداية بحر الجود مرحمة الرحمن حبر بسر اللَّه مشحون
فلك الكمال الإلهي الذي فخرت حاء الحياة به والسين والنون
ما زال دوماً مدى الأوقات مقتفياً بحر الحقائق قلب الحق يس
غيث الأرامل يعسوب الفضائل من له على فلك العلياء تمكين
الوارث الأحمدي المستغاث بها لأن فيه لكل الخوف تأمين
كنز العلوم الذي ما زال مكتتماً في غيب غيبهم الذاتي مكنون
مستودع الحسن والإحسان أصل عرى الإيمان سر عن الأغيار مضنون
الميرغني الذي عمت مراحمه كل الأنام وتاقت نحوه العين
ناسوته الأعظم الأسنى الذي أبداً له على درج العلياء تلوين
يا ساذج الذات يا قاف الإحاطة يا طوداً له في شئون الذات تعيين
يا حرفه المفرد المحجوب عن درك الأكوان من حارت فيه العال والدون
إني سألتك باللَّه العظيم وبالحب الذي بسويدا القلب مخزون
أن يمحى ذنبي ويغفر كل مجترحي فأنت عند إله العرش مأذون

فمن جميل سجاياك التي كرمت العفو واللطف والإحسان واللين
فاصفح عن البائس العبد الذليل لكم فقد غدا بعظيم الذنب مرهون
لو لم تكن ذات منشور الكمال لهم ما قلت للكائنات في الورى كون
فكم أحلت تراباً سيدي ذهباً أو فضة فغدا بالعز ممنون
فاقلب عبيدك من ذل الهوان إلى حال بعز شهود اللّه ميمون
واجعله عرش وجود لم يزل أبداً ولا يزال على الآباد مأمون
واحسن عواقب أمري كلها سندي بحق طه المنبأ والورى طين
وحق جدتك الزهراء وشيخك أبي العباس من جهلت فيه الموازين
واقبل دعائي وانجح كل مسألتي وقل إذا تليت آمين آمين
وصلِّ ربي على سر الوجود وبحر الجود عرش وجود اللّه ياسين
والآل والصحب مهما قال ذو ولهٌ مني سلام بذكر اللّه مقرون
وارحم لقارئها والسامعين لها والغائبين متى ما قد بدا حين
وخص عيناً وحاء بعدها ألف والميم واجعل لهم في القدس تدوين
دوماً من اللّه تغشى الميرغني حسناً ذاك الإمام الذي يعلو به الدين

انتهى هذا، ولنكتفي بما ذكر عن البسط، في شأن أستاذنا السيد محمد الحسن، إذ هو بحرٌ زاخرٌ لا قرار له ولا ساحل.

الفصل الثامن

في ذكر بعض أوصافه رضي اللَّه عنه

فاما أوصافه الخلقية:

كان أبيض اللون، مربوع القامة، أقرب إلى الضخامة من النحافة، كث اللحية طويلها، وكثيراً ما يغطي بها وجهه الشريف، جميل الذات، يضرب بجماله الأمثال، تهرع إليه الناس كثيراً، لرؤية جماله، ونضرة وجهه وبهائه، لطيف البشرة، جسده طري، كالديباج من الحرير، وشاهد ذلك له خاتم في خنصره، يدخل في أصابع يديه ورجليه العشرين، ويدخل كما يدخل في الخنصر، ويستقر فيهن كما يستقر فيه، وهو أمر معلوم عند كل أحد من أصحابه، وقد رأى ذلك كثير من الناس.

كثير البسط مع أصحابه، أكثر مدده لهم في حالة البسط والسرور، لا يحب الانقباض أبداً، ولا يحب المنقبض من تلاميذه، وينهاه عن ذلك أشد النهي، طريقته مبنية على محض المحبة والعناية الإلهية، به وبأتباعه.

ذكر بعض تلامذة سيدي أحمد، رضي اللَّه عنه، له حالة الإمام، في كثرة بسطه، كأنه يلومه له، فضحك سيدي أحمد رضي اللَّه عنه، حتى استلقى على قفاه، ثم قال له: يا أخي، إن محمد عثمان محمول على يد العناية الإلهية، هكذا، وبسط يديه ومدها في الهواء، وقال له: بسطه ومزجه مع الأخوان مدد وبركة وترقية.

سأل بعض من لم يره من الناس، بعض من رآه عن صفته الذاتية، فقال: هو أخو القمر.

كان لا يريد فعل أمر من الأمور، إلا جمع أصحابه واستشارهم، ثم يفعل بالراجح من آرائهم، وما يترجح عنده نافذ العزم، لا يقف بعزمه صعب من الأمور المهمات، يكره انحلال العزم، وانحطاط الهمة، وبطء الحال، في الأمور الدينية والدنيوية، لا يزال حاثاً

لأصحابه، قائداً لهم بزمام الرغبة، وسياط الخوف والرهبة، إلى المراتب العالية والمشاهد السنية، لا يهمل لهم فلتة، ولا يدع لهم عثرة، فيما لا ينبغي، عملاً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

كل همته مع أصحابه على صلاة الجماعة لأول أوقاتها، وملازمة الأذكار في الغدو والآصال، بالهمة والنشاط، ومن فرط في ذلك زجره أشد الزجر، لا يدعهم يتفرقون عن مجلسه بالليل، حتى يحثهم على الحضور عنده أول ثلث الليل الأخير، لأداء أذكار السحر، التي تستعمل في الجماعة.

وله مقدمون ونقباء وغيرهم، قد عيّنهم لحث الأخوان وإيقاظهم بالليل، وتعديل الصفوف للصلاة، وحلق الذكر وغير ذلك، وكل خلفائه الأعيان بالجهات البعيدة عنه، على نسقه وحاله الذي هو عليه، ولهم في ذلك أحكام مرتبة، على من فرط في كل هذه الأمور، من صلاة وذكر وغير ذلك، قامع للنفوس، قاهر لها بالأوامر الشرعية، والوظائف الدينية والآداب المرعية، يحرس هو وأصحابه دائماً طلوع الفجر من ثلث الليل الأخير، وهكذا شأنه وشأن أتباعه.

ويؤكد عليهم ألا يحلف أحد منهم باللَّه أبداً، إلا أن يقول عقب حلفه إن شاء اللَّه، ومن لم يذكر المشيئة بعد حلفه يؤدبه، ولازموا على ذلك حتى صار لهم عادة، فبرءوا من الوقوع في الحنث في جميع حلفهم.

حريصٌ على هداية أصحابه، وإرشادهم بطريق الإتباع، أمر أتباعه بمخالطة الحكومة، وقلة التردد على أربابها.

يقول لأتباعه دائماً: يا أخواننا، إن طريقتنا هي علم الظاهر، أي علم الشريعة والعمل به، فتعلموا العلم وعلموه، واعملوا به، ولا تبالوا بعد ذلك بوجود الفتح والكشف، أو

عدمه، وكونوا عباد اللَّه تحت أوامره ونواهيه، يدرس العلم بنفسه، من توحيد وفقه ونحو ذلك، من حديث وتفسير وسير، ونحو وصرف وبيان.

وما ترك فناً من فنون العلم إلا ألف فيه، يقول لأتباعه: لا تتقيدوا بالباطن دون الظاهر، ولا بالظاهر دون الباطن، ولا بالتجرد دون التسبب، ولا بالتسبب دون التجرد.

يكره المغالاة في التقشف، المبني على الرياء والسمعة، خوفاً من إفساد العمل، ويكره لبس المرقعات والتظاهر بزي الدراويش، المتشبهين بالأولياء، وليسوا على ذلك من شيء، وينهى أتباعه عن ذلك أشد النهي، لا تجد أحداً من أتباعه في حضرته، ولا بالبعد منه، على تلك الهيئة، بل هيئته هو وأتباعه غالباً في اللباس القمصان الفضفاضة، أي الواسعة، والجلباب، هو القميص الواسع، المشقوقة من عند النحور إلى تحت الصدور، والعمائم المرخية أطرافها على شمائلهم، أو بين أكتافهم.

يأمر بالنظافة واللباس الحسن، لمن يقدر عليه منهم، وكثيراً ما يهبهم ذلك من نفسه، لا يخلف خليفة من خلفائه إلا كساه الجبة والقفطان، والعمامة، أو العباءة الفرجية، وذلك من نحو الجوخ وغيره.

ولباسه في عامة أحواله في نفسه القميص الواسع، والعمامة، كأن أصحابه غرة بين الناس، من حسن هيئتهم، ثم استحسن الناس هيئاتهم فشاركوهم فيها، وما كانت تعرف تلك الهيئة إلا عندهم فقط في اللباس الخاص، كهيئة أهل الحجاز، تبعه أتباعه على ذلك، سمعت من أستاذي، سيدي محمد الحسن، يقول: إن الإمام مع حثه على حسن الهيئة في اللباس لأتباعه، ما رأيته يوماً من الأيام لبس بدلة، إلا وفيها نقصاً في شيء منها عمداً، وذلك على قصد منه في ذلك.

وكان يلقب أصحابه كثيراً، مثل الصافي، والصفوة، والصادق، والنجيب، والنقيب، والنصيح، والفهيم، والمبشر، ونحو ذلك.

جهوري الصوت، جمال صوته كجمال ذاته، إذا تلا القرآن في الصلاة أوغيرها، أخذ العقول وجذب القوالب والقلوب، كثير البشائر لأصحابه، بعد الذكر وقراءة المولد وأداء الصلاة.

سمعت عمي الفقيه إبراهيم، أخو والدي من أبويه، من الملازمين لخدمة الإمام، قال: صلَّى بنا الإمام الجمعة، في جامعه يوماً بالسنية أي الختمية، فقرأ في الركعة الأولى {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى}، بعد الفاتحة، وفي الثانية بهل {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ}، فلما فرغنا من الصلاة، وقراءة المولد بعدها، قال لأتباعه: يا أخواننا لما قرأت في الصلاة قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}، إلى قوله: {وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ}، خاطبني رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فقال لي: (أنت وأتباعك من أعظم عمارها).

وكثيراً ما يخبرهم بمن حضر من أرواح الأنبياء والأولياء، وسيد الوجود، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وعليهم أجمعين، ويقول لأصحابه: لا تعتمدوا على البشائر، وتغتروا بها، فإن مصداق البشائر الاستقامة، وحسن الإقبال على اللَّه تعالى، وابتغاء ما عنده.

ما روي أنه صلَّى فذاً، ولا بغير عمامة، فانظر إلى هذه الملازمة الدائمة، ويؤكد على أتباعه جميعاً باستعمال العمائم، ويزجرهم عن الغفلة عن ذلك، وعمائمهم هو وأتباعه، مفلجة مرخية أطرافها على شمائل أكتافهم، أو خلفها، كما مرَّ قريباً بيانه.

ضعيف الأكل جداً، طعامه المرق واللحم الضاني، وبلغني أنه لا يأكل إلا لحم الذكور من الضأن، وكان هو وسيدي أحمد بن إديس إذا جلسا معاً على الطعام، يعتب عليه في قلة الأكل، ويقول له: يا أخانا عثمان، كُلْ، فإن العبد يكون صادقاً مع اللَّه حتى في أكله، وهو رضي اللَّه عنه ضعيف الأكل، سجية وطبيعة.

سمعت من أستاذنا محمد الحسن: أنه -أعني الإمام الختم- قليل النـوم جداً، لا يمـر عليه أحد وهو متغش بثوبه على فراشه، إلا يفهم منه أنه صـاح، أمـا بتفالـة مـثلاً، أو بهمهمة أو بحركة سبحة، ونحو ذلك، كيف لا يكون ذلك، وقد فنى في المذكور، وصار نوراً على نور، فهو حي اللَّه في كل الأحوال، حياة لا يتـخللها غفلة ولا فتور.

الفصل التاسع

فيما قيل فيه من البشائر قبل وجوده

من الأولياء أهل الكشف والبصائر الباطنية

ومن ذلك ما رأيناه في جفر سيدي عبد الرحمن البسطامي، مكرراً في أماكن كثيرة منه، فقال في مكان: (محمد عثمان، عبد صالح خير من حراً طالح).

وفي محل آخر قال فيه بيتاً من قصيدة، لا نطيل بذكرها، واللَّه أعلم بمراده فيها، وقال فيه في محل آخر: (محمد عثمان أبو بكر، أحق بالتقديم).

وسمعت من أستاذي سيدي محمد الحسن، يقول: أن في بعض الكتب -وقد نسيت أنا ذلك الكتاب الذي ذكره- قال: يقول في ذلك الكتاب: (محمد عثمان يشبه الملوك، وليس بملك).

وسمعت سماعاً مستفيضا مؤكداً، من غير واحد: أن الشيخ يوسف الطريفي، أشهر ولي بالسودان، وهو بيت ولاية من أجداده السابقين، وكان يدرس المختصر في مذهب مالك، وكان جدي والد الفقيه أحمد، يقرأ عليه المختصر من مذهب مالك، فاتفق أن أحد تلاميذه، أحضر له منظومة لأحد الأولياء، السابقين المشهورين بالسودان، يقال له الشيخ هجو أبو قرن، وتلك المنظومة ألفها في التوسل بالأولياء، الذين يأتون من بعده في آخر الزمان، من جملتها بيت واحد، وهو هذا:

يا جاكير الواقف على الحد   يا محمد عثمان الأرشد

سألوه عن معنى هذا البيت، فقال لهم: أما جاكير الواقف على الحد، هو رجل شريف، يأتي من جهة الغرب، من أكمل أولياء اللَّه، واقف على الكتاب والسنة، يهاجر

من بلاده إلى مكة المشرفة، ونعت في كلامه سيدي أحمد بن إدريس من كل وجه، وقال لهم: أما محمد عثمان الأرشد، فهو تلميذ جاكير المذكور، شريف من أهل مكة المشرفة، أعظم أولياء اللَّه تعالى في زمانه، طريقته تخفي جميع الطرق، يطوف البلاد كثيراً، ويأتي في بلادنا هذه، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وقد قرب زمانه وآن أوانه، وبسط الكلام في حقه.

فلما فهموا منه قرب زمانه، سأله كل منهم قائلاً: هل أحضر زمانه يا سيدي أو لا؟، فمن جملة السائلين، جدي الفقية أحمد المذكور، وقال: هل أحضر زمانه أم لا؟، فقال له: أنت لا تحضر زمانه، ولكن أحد أولادك، ويكون من أكابر أتباعه، فقال له آخر: هل أحضر زمانه أم لا؟، فقال له: تحضره، فقال له: هل آخذ عليه طريقه؟، فقال: لا تأخذ عليه، ولكن آخيه في اللَّه.

فلما حضر الإمام بسنار، قدم إليه ذلك الرجل، فيمن قدم إليه لزيارته، فقال له الإمام، قبل أن يتكلم: (هات يدك نتآخى في اللَّه، كما أوصاك شيخك)، فمد يده إليه، وآخاه في اللَّه.

ومن ذلك حكاية الرجل المجذوب، الشيخ مصطفى، الذي أسلفنا ذكره بكردفان، ومنها أن الشيخ الحاج بالتاكا، من قبيلة الحلنقة، عرف بمجيئه، وحرض على أخذ الطريقة عليه، والشيخ الحاج المذكور، هو من الأولياء، أهل الكشف الصادق، فأخذوها، وتركوا كل ما كانوا متمسكين به، من قبله من الطرق والأذكار.

ومتواتر عنهم أن صالحي تلك الجهات السابقين، يقولون: نرى نوراً عظيماً، تحت ذيل هذا الجبل، ولابد أن يسكن تحت هذا الجبل، ولي عظيم من أولياء اللَّه.

وكذا رجل جليل من أولياء اللَّه، بدنقلا، يقال له ود الكرسني، تكلم بالإمام، ونوَّه عن شأنه، وقال لجماعته: تأتي من هذه البلاد، طريقة على الكتاب والسنة، فمن أخذها

فذاك الفائز الرابح، ومن توقف ولم يأخذها، وسلَّم لأهلها، ولم يتداخل بينهم بسوء، فهو ناجٍ، ولكنه محروم، ومن دخل فيهم وخرج، فذاك الهالك، والعياذ باللَّه.

ومنهم رجل يقال له الشيخ علي، وهو ولي شهير بجهة مصوع، من بيت معدن صلاح وبركة، أخبر ذريته قبل حضور الإمام، بمدة من الزمان، وقال لهم: (لابد أن يأتي بعدي رجل عظيم، من أولياء اللَّه تعالى، تخفي طريقته الطرق، وتعم المشرق والمغرب، ونعت لهم الإمام، وقال لهم: هو شريف من أهل مكة ، فإذا رأيتموه فخذوا منه الطريقة، ولا تتمسكوا بعد رؤيته بغيره، فإني أرى شجراً في الماء وهو يابس، وأرى شجراً في الصحاري والفيافي الجدبة، وهو شديد الإخضرار، فسألت عن ذلك، فقيل لي: فأما الشجر اليابس الذي في الماء، فهم أهل الطرق الذين يعرضون عن هذا الرجل، وأما الشجر الأخضر الذي في الفيافي الجدبة والغفار، فهم عامة الناس يحبون هذا الرجل، ويأخذون عليه).

وأخبرني من أثق بدينه وأمانته، أنه رأى في الجزء الأخير من [شمس المعارف الكبرى]، نعت هذا الإمام بذاته، وتكلم في عظمة شأنه عند اللَّه تعالى، واللَّه أعلم.

وقد بلغنا أيضاً بالتأكيد، أن الشيخ عثمان بن فوديا، ملك الفلاتة، وكان غوث زمانه، كما عرفنا بذلك أستاذنا، السيد محمد الحسن، قيل: أنه قال كان في الناس رجل، اجتمع عليه أناس كثيرون، وصار يذكر بهم جميعاً باسمه تعالى، [يا حي يا قيوم]، فطلبه عنده وضربه، فقيل له في ذلك، فقال: هذا رجل افترى على اللَّه كذباً، بأن أدعى زوراً ما ليس له، ذلك أن هذا الاسم [الحي القيوم]، إنما هو لرجل شريف من أهل مكة المشرفة، يؤيد بهذا الاسم، ويجعله طريقه، ويذكر به وأتباعه حلقاً، وذكر كلاماً عظيماً في حق الإمام، واللَّه أعلم.

الفصل العاشر

في ذكر نذر من البشائر التي ذكرها بنفسه
جعلنا اللَّه من حزبه، وأروانا من صافي شربه، آمين

كان يقول: ما قلت في صلاتي السلام عليك أيها النبي، إلا وقال لي: وعليك السلام، أيها الابن الصالح، ورحمة اللَّه وبركاته.

وكان يقول: قال لي الرسول عليه الصلاة والسلام: أن من صحبك يموت على الولاية.

وكان يقول: قال لي النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: أن من سلَّم عليك، تحاتت ذنوبه.

وكان يقول قيل لي: وأن مقامك الوسيلة، مع النبي وفاطمة والحسن والحسين والمهدي، وأنت السادس، وليس أحد معكم فيها بالسكنى، ومن دخلها غيركم، فإنما يدخلها على سبيل الزيارة.

وكان يقول: قيل لي: أن معنى الختم، على أربعة أوجه: الأول الختم النبوي، والثاني الختم المهدي، والثالث ختمي، والرابع الختم، الذي لا ولي بعده، وهو آخر الزمان، فعلمت من ذلك شأني.

وكان يقول: قيل لي: أنه لا يقدر على معرفة حقيقتك، أحد من كبار الأولياء العارفين، وكم عالج ذلك كثير من الأغوات، وكبار الأفراد، فلم يعرفوا حقيقة ذلك، وأعظمهم معرفة بك محي الدين بن العربي.

وكان يقول: وقيل لي: أن كل الأولياء ينظرون إليك، وهم لا يبصرون حقيقتك، لأنك قطعة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

كان يقول: قيل لي: أنك تُعطى راتباً، لم يقدر على قراءته أحد، غير النبي والمهدي.

وكان يقول: قيل لي: ما أعطيناه لك فلا يعطاه غيرك، ولا مانع لما أعطيناك، ولا معطي لما منعناه من حالك لغيرك.

وكان يقول: قيل لي: أنك أعطيت الأرض، فافعل ما شئت، واحكم ما تريد.

ومثل هذا وارد عن أهل اللَّه كثيراً، وله معان مطابقة للشريعة ظاهراً وباطناً، إذا أوضحوها لمن يسأل عنها، ظهرت له مطابقتها كنور الشمس في الظهيرة، فمن فاته التحقيق بأحوالهم، فلا يفوته التسليم لأقوالهم.

وكان يقول: قيل لي: أن موضعك في الكثيب، بعد المهدي، وهو بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

وكان يقول: قيل لي: لا تموت حتى تحل في الغوثية.

وكان يقول: قيل لي: أن جميع الأولياء يتمنون مقامك، وكثير من أكابرهم يتمنون أن يكونوا من أصحابك.

وكان يقول: قيل لي: أن جميع ذريتك يخرجون صالحين، وبشرت بواحد منهم، يكون في رأس الدواوين الإلهية.

وكان يقول: قيل لغوث من الأغوات: هل تعلم أحداً أكمل منك؟، فأشار إلى صورتي، وصورة المهدي.

وكان يقول: قيل لي: لم تزل الواردات والمبشرات لك، والمخاطبات، وقيل لجدي: فالحمد اللَّه الذي جعل هذا من ذريتك، فحمد اللَّه وسجد.

وكان يقول: قيل لي: أنت خاتم أعلى مقام في الولاية، وليس فوقك إلا المهدي، وأكمل داعٍ بعد النبي إلى الهداية، ونظيرك المهدي.

وكان يقول: قيل لي: أن من صليت عليه، غفر له.

وهذا الذي ذكرناه نذر يسير، من تحدثه بنعمة اللَّه عليه، ولعلك أيها الناظر إلى هذه البشائر، أن يخطر لك أنها ليست موافقة لظاهر الشرع، فيضيق صدرك عن التسليم، ببادر الطبع.

فاعلم يا أخي، أن مثل هذا الكلام، كما أسلفنا لك قريباً، وارد عن أهل اللَّه كثيراً، فقد قال سلطان الأولياء، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني: (معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه). وقال سيدي أبو يزيد البسطامي: (خضنا بحاراً، وقفت الأنبياء بساحلها). وقال سيدي عمر بن الفارض، في تائيته:

أني وإن كنت ابن آدم صورة　　فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

إلى أن قال:

وكلهم عن معناي دائر　　بدائرتي أو وارد من شريعتي

وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر، وأني أريد أن أذكر لك بعض كلمات، بحسب ما سمعت من أهل هذا الشأن، في الإبانة عن مثل هذه الشطوحات، التي تصدر منهم، عسى أن تكون لك عوناً، على قبول كل ما سمعته، أو التسليم لهم.

فقد سمعنا من أستاذنا، سيدي محمد الحسن، في معنى ذلك، يقول: أن أكابر الأولياء التابعين للكتاب والسنة، يدخلون مع النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ في مداخله الخاصة به، على حسب التبعية، كما يدخل موالي الملك وخدمه وخاصته وأبناؤه في بيته، وأماكنه الخاصة به، وهناك من الملوك وأهل المقامات من هم أجل منه قدراً، أو أرفع منزلة، ولا يرون هذه المحال، ولا يدخلون فيها، وأيضاً أولئك الأتباع يأكلون من طعام سيدهم، ويشربون من مشربه، وينظرون في خزائنه، وأموره الخاصة به، التي لا يدخلها أحد من أولئك الملوك، وخواص أمة النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ الذين ذكرناهم، معه في تلك

الخصوصيات، التي ذكرناها، فيصدقون في أنهم دخلوا مداخل، لم يدخلها غير النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وشهدوا مشاهد لم يشهدها غيره، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ.

وفي الآثار الظاهرة ما يفيد ذلك، فإن سيدنا موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لما رأى النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ليلة الإسراء والمعراج بكى، فسئل عن بكائه، فقال: (غلام يأتي من بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي، يزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على اللَّه، وهذا أكرم على اللَّه مني) إلى أن قال: (ولو كان في نفسه، فما أبالي، ولكن معه أمته)، فغبط الأمة، لما رأى من علو شأنهم، وكرامتهم على اللَّه، وكونهم مع نبيهم في تلك المنازل، التي لم يدخلها الأنبياء، فلما رأت الأنبياء ذلك، طلبت من اللَّه أن يجعلها من أمته، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ليدخلوا تلك المنازل مع خواص الأمة.

وعلم أيضاً من الآثار الصحيحة: أن يوم القيامة، تكون رجال من هذه الأمة، على كراسي من النور، على يمين العرش، يغبطهم الأنبياء والشهداء، وليسوا بأنبياء ولا شهداء، فإذا أمعنت النظر فيما ذكر، استشعرت بعض معاني كلامهم، لأنهم ذاقوا المواهب، وتحققوا بتلك المشارب، فلسانهم في كل ما يقولونه، هو لسانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، أدخلنا اللَّه بخالص رحمته مداخلهم، وخصنا بلذيذ مواردهم ومشاربهم، آمين.

الفصل الحادي عشر
في ذكر مؤلفاته رضي اللَّه عنه

فأما مؤلفاته فهي كثيرة العدد، غزيرة المدد، محمدية السند، إلهية المشهد، لا يؤلف تأليفاً إلا بإذن صريح محمدي، ووارد إلهي أحمدي، بل لا يقدم على أمر من الأمور، صغيراً أو كبيراً، جلَّ أو قلَّ، إلا بإذن صريح.

فمن ذلك تفسيره للقرآن العظيم، قد فسَّره بتفسير جليل، سماه: [تاج التفاسير، لكلام الملك الكبير]، ومدة تأليفه كما ذكر هو ذلك، في خطبته: (الربع الأول وزيادة في أربعة أشهر، والربع الثاني إلا قليل في تسعة أيام، والربع الثالث في خمسة عشر يوماً، والربع الأخير في عام، وقد تكلم فيه على أوائل السور المرموزة، من باب الإشارة، وقال فيه: قال لي رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: (اعتمد في تفسير هذا على الإلقاء الإلهي، الذي يرد عليك، أكثر من نقلك الكتب، ولا تخف من ذلك، فإنك لا تخطىء)، وتكلم فيه على بعض الآيات بكلام الحقائق، مثل آية الأنعام، على قوله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}، وتكلم فيها ببشائر ساطعة من النعم، من التحدث بنعمة اللَّه، ما لا مزيد عليه، زاده اللَّه كرامة، ونفعنا ببركاته الخاصة والعامة، وتكلم في آية النور أيضاً، بلسان الحقائق، وفي قوله تعالى: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}، في سورة المائدة ، وفي سورة الأنفال، في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، إلى قوله تعالى: {لَهُم مغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

وألَّف كتاباً في الحديث، سماه: [رحمة الأحد، في إقتفاء أثر الرسول الصمد]، وهذا الكتاب أيضاً ألَّفه بإذن صريح من الحضرة المحمدية، وبعض ما قاله في ذلك:

(أما بعد، فيقول أبو محمد، وعبد اللَّه، المكنى بهذه الكنية من محبوبه، محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن السيد عبد اللَّه، المكي الميرغني، الفائز بمرغوبه، أنه لما كان عام سبع وثلاثين بعد الألف والمائتين، من هجرة سيد المرسلين، قدمت إلى مكة بلد اللَّه الحرام، من أرض السودان، طالباً الغفران من الآثام، فلما انقضى ودخل عام الثمانية التي تليها، بفضل العلام، شرعت مع بعض الأخوان، على شيخنا محدث العصر عارفه الإمام، أبو محمد، المغربي، سيدي أحمد بن إدريس، منحني اللَّه وإياه سره النفيس، في قراءة كتاب [جامع الأصول]، لابن الأثير، وكنت أنا الذي أسرد، وأقابل.

فطلب مني جماعة من أتباعه وأصحابي، أن أجمع لهم منه بعض كتب، فتأخرت لعدم أهليتي لذلك، وقلت: أحبابي، إن ساعد الحق يقع الأذن، ويحصل المدد، فلما كان يوم الأربعاء، آخر جمادى الثانية، من ذلك العام، له اللَّه رعى، رأيت المصطفى، عليه أفضل الصلاة والسلام، فذكرت له ذلك، وقلت: مرادي والمرام أن أجعل كتاباً في الحديث، يعمل الناس به، ويقتفون أثرك، وذلك في الإيمان، والطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وقال لي بعض الأخوان: زد كتاب البيوع، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ما كشف الخبا: (ألِّف، وسينفع اللَّه به خلقاً، لا يحصرهم إلا هو)، ففهمت أن بركة ذلك تعود على المؤمنين، وفضل اللَّه لا يحيط به إلا هو.

ثم رأيته ليلة الأحد، أي ليلة الاثنين، في رجب الأصم، في ذلك العام، أي عام الثمانية والثلاثين بعد الألف والمائتين، في مكة المشرفة، بحلقة بها الشيخ والزهراء، وعائشة وخديجة الكبرى، والخلفاء الأربع والحسنان، وزين العابدين والصادق، والزين والمثنى، وزيد وأسامة، وسلمان الفارسي، وقال لي المظلل بالغمامة: (ألِّف الكتاب، وهو

من سر بيتي، وهذه حضرة بيتي، ومدده منها)، ثم ظهر لي أقرب من ذلك المشهد، وقال لي: (ألِّف الكتاب، فلله در المجد، وسمه: [رحمة الأحد، في إقتفاء أثر الرسول الصمد] و[رحمة المنان، في إقتفاء أثر ابن عدنان]، ولك كثواب الأمة باقيها إلى يوم القيامة، أبا محمد، طب نفساً، وقر عيناً)، وزاد في الكرامة، وقال: (أليس ستة أذرع من الحجر منه).

فألفته على الامتثال لما هنالك، وأصبحت صباح يوم الأحد، صباح الوارد، وتوجهت إلى المسجد الحرام، وطفت سبعاً، وصليت ركعتين خلف المقام، وشربت من زمزم، ومضيت إلى حجر إسماعيل عليه السلام، وركعت تحت الميزاب، وقرأت يس، وبعض السور، رجاء قبول الكتاب، وبدأت بسجعتين أخذتهما عنه، وقمت إلى باب الصفا، ومواجهاً الحجر الأسود، لاتمم الخطبة، فرأيته حاضراً معي، ومنه ومن اليمين حاصل المدد، فعلمت بنجاح المقصود، وأسأل اللَّه أن ينفع به الخلق، وينفعني بجاه النبي المحمود، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وآله وأصحابه أهل الركوع والسجود). انتهى ما قاله في خطبته، بلفظه رضي اللَّه عنه.

فقال في آخر الكتاب، عند ختمه: (وقد تم هذا الكتاب، يوم الجمعة بالمسجد الحرام، سنة ١٢٤٨ من هجرة سيد المرسلين، بحجر إسماعيل، بالقطعة التي هي من البيت الشريف، وكان في تلك الليلة، ختم بنا الابن المبارك، ابني محمد سر الختم، صلاة التراويح بالختمة، في الرواق الذي يلي باب إبراهيم، في السادس والعشرين من رمضان، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشر سنة تامة، وذلك من نعم اللَّه علي، ولا سيما بقرة عيني، بمثل هذا الكتاب، وابني هذا، وأسأل اللَّه قبول الكتاب، وحياة هذا الابن، وجعله من العارفين، هو وسائر ذريتي والمحبين). انتهى.

وألَّف كتاباً في الحديث في الوعظ، سماه: [الوعظ الثمين، في تعمير أعصار رمضان الثلاثين]، لأنه أمر تلاميذه أن يقرأوا منه، بعد كل عصر في شهر رمضان، باب من الأبواب تذكرة، وإيقاظاً للقلوب، بأحاديث النبي المحبوب.

وألَّف شرحاً على مشكاة الأنوار، لجده سيدي عبد اللَّه المحجوب، سماه: [مصباح الأسرار في سيرة النبي المختار].

وشرح [ألفية بن مالك] بشرح مفيد، أتمه في خمسة عشرة يوماً.

وشرح [الآجرومية]، بشرح نافع، بسَّط فيه الكلام، سماه: [الفوائد البهية، في حل ألفاظ الأجرومية].

وألَّف منظومة في النحو، أبسط من الأجرومية، سماها: [غنية الصوفية، في علم العربية]. قال في آخرها: (وأوصي من رآها، ألا يعترض، ويدعو لي، ويصلح الذي أعترض، ولم أكن أبديه باختيار، إلا بإذن جاء من المختار). وقال: (من يشغل بها يعلم، وأسأل اللَّه القبول الأعظم، وحالة الإخلاص للدوام، وأكمل الصلاة والسلام، على النبي وآله وصحبه، ومن أتى للدين ناصر حزبه)، انتهى.

وشرح [ألفية السيوطي، في علم البيان].

وشرح [منظومة البيقوني، في علم المصطلح].

وألَّف في التوحيد رسالة، سماها: [منجية العبيد، من هول يوم الوعد والوعيد].

وأما تأليفه في علم الباطن، فبحوره زاخرة، محتوية على نفائس الدرر، واليواقيت والجواهر، منها: [الخزانة القدسية]، وجاء في خطبته:

(وقد وقع في الخاطر أن أجعل هذا الكتاب عشرين جزءاً، حسب ما ألهمني الوَّهاب، ففي كل جزء أجعل خمسة أسماء، لأن المقصود حضرات الأسماء هذه التسعة والتسعين، وأكمل المائة ببعض كلام على الاسم الأعظم المتين، وأجعل في كل جزء خمسة كتب،

ليسهل نقله على من أحب أن يكتب، وأذكر في كل حضرة، ما تيسر من المواقف والمقامات والعلوم، فاعرف، وأبدأ في كل كتاب بثلاثة أبواب، الباب الأول في المواقف، والباب الثاني في المقامات، ونصف الباب الثالث في بعض شئ من المعلوم، يكون لديك معلوم، أني أريد أن أذكر في أول كل كتاب وموقف ومقام، شيئاً من الكتاب والسنة، أو من أحدهما فاعلمه، وما تراه من رمز تفهمه، فهو قلم اصطلحته لنفسي، انتهى.

وألَّف في علم الباطن أيضاً، حكماً جليلة، بيَّن فيها موارد علم الطريق ومصادره، وسماها: [الفيوضات الإلهية، المتضمنة للأسرار الحكمية]، وشرحها بنفسه، شرحاً زادها حسناً ورونقاً، أتقن فيها القول بالقرآن والحديث، استدلالاً على مطابقتها في الظاهر للأصول.

وألَّف جملة رسائل في هذا الشأن، كـ[الفتح المبروك]، و[الهبات المقتبسة في أحوال الرجال].

وألَّف صلوات عديدة، أكبرها سماها: [ديوان فتح الرسول، ومفتاح بابه للدخول، لمن أراد إليه الوصول]، جعلها سبعة أبواب، لكل يوم باباً من الأبواب، وفي كل باب خمسة فصول: الأول في الأحاديث الواردة بالصيغ النبوية، والفصل الثالث في الصلوات الواردة بصيغ الصحابة والتابعين، والفصل الرابع في صلوات كمل العارفين، والفصل الخامس في ما صلَّى به المؤلف بصيغ لفظه، رضي اللَّه عنه، هكذا كل باب من السبعة أبواب، فيمر القارىء أولاً، على الأحاديث الواردة في فضل الصلوات، على النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، والحث عليها، فتتوفر همته، وتتكامل رغبته، ثم يمر على الصيغ التي نطق بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ بنفسه، فيحصل على المقصود الأكبر، والمطلب الأفخر، ثم يمر على صلوات الصحابة والتابعين، فينال من بركاتهم، وعظيم نفحاتهم، ثم يمر على صلوات كمل العارفين، فيعرف منها جلالة قدره، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وعظمة

مكانته عند رب العالمين، ثم يمر على صلوات المؤلف، رضي اللَّه عنه، فيظفر بكمال النعمة، وغاية المقصود، وهذا النسج لم يسبق عليه في علمنا قبل ذلك، وقال في خطبة تأليفها: (وبالمواظبة عليها مع الحضور، يحصل الفتح وسواطع النور)، وهي متداولة الاستعمال عند جميع أتباعه المنتبهين، وجعل تلاوتها من شروط طريقته تكميلاً.

وألَّف صلاة أصغر منها، سماها: [باب الفيض والمدد]، لا يشك ذو القلب اليقظان، إذا رآها أنه نطق بها في حال المشاهدة والأعيان.

وألَّف غيرها صلوات عديدة، أحدها سماها: [الجواهر المستظهرة في الكنوز العلية في بعض أوصاف الذات المحمدية].

وثانيها مزجها بسورة الفتح، سماها: [جواهر السطح على سورة الفتح]، وله صلوات عديدة غير ذلك.

وله دواوين في مدح النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وفي طريق أهل اللَّه، وترقية السالكين وتربية المريدين.

وله ديوان معشر على حروف المعجم، كل حرف عشر أبيات، كله في طريق أهل اللَّه، يبدأه بالحرف ويختمه به، مثال ذلك قوله، في حرف الجيم: جاع بطناً فملأها ربها نوراً ولحلك أخرجا، وهكذا كل الديوان.

وله تائية طويلة، نحو تائية ابن الفارض، رضي اللَّه عنه.

وله أحزاب جليلة، وأدعية دبر الأوقات الخمسة، وآخر الليل، خلال الركعات العشرة، والشفع والوتر، وبعد الفراغ منها، ومنها صلاة الضحى.

وله أدعية في مواسم السنين، مثل العيدين في ليلتيهما، وأول السنة، وليلة العاشر من محرم، وخمسة عشر شعبان، وخطب العيدين، وخطب الجمعة للسنة كلها.

وله في مدح النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، نظم مخمس، سماه: [النور البرَّاق، في مدح النبي المصداق]، أشبع فيه القول من كل وجه، وأعرب فيه عن شأن الكمال المحمدي، بما وراء طور العقول، وضمنه كثيراً من المعجزات الواردة، والسير الصحيحة، والآثار الواردة فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، من أنباء النبيين والمرسلين عنه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، في الكتب القدسية القديمة، وقد شرحه ابنه سيدي محمد سر الختم، بشرح جليل.

وله مولد بديع، متداول استعماله عند جميع أتباعه، حتى حفظه النساء والصبيان، وذكر في خطبته: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، بشره أنه يحضر في قرائته، وأن الدعاء مستجاب عند ذكر ولادته، وعند الفراغ منه، وقد شرحه ابنه السيد محمد سر الختم المذكور، بشرح بليغ، في سجل ضخم، من رآه عرف جلالة قدر هذا الشارح، وسعة علمه، وكمال إطلاعه، وتصرفه في جميع الفنون.

وهذا ما قدرنا عليه، ويسره اللَّه لنا من بيان تأليفه، في علم الظاهر وعلم الباطن، على قدر إطلاعنا القاصر، عن إحصاء تآليفه من كل وجه، نفعنا اللَّه بعلومه، وأدخلنا برحمته في ميدان شئونه، بحرمة رسوله الأعظم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وآله وصحبه، وجميع أهل دينه وتدوينه، آمين.

وأما أذكار طريقته، لنفسها متضمنة تآليف عديدة، ومتوناً، وشروحاً، وها هي قد بيناها فيما يلي هذا الفصل، في فصل مستقل، وهو هذا:

الفصل الثاني عشر
في بيان أذكار طريقته، رضي اللّٰه عنه

وأما أذكار طريقته فكثيرة، وإمداداتها قريبة التناول وغزيرة، وثمرات نتائجها عند ذايقها، جليلة القدر وكبيرة.

وهي على قسمين: منها ما يستعمل في الجمع، ومنها ما يستعمل في الانفراد.

ولنبدأ بأذكار الجمع، فنقول: أولها الراتب، صباحاً ومساءً بعد الأساس، وقد سماه بـ[الأنوار المتراكمة]، يستعمل عقب صلاة المغرب، وعقب صلاة الصبح، فيصل تمامه في أغلب الأوقات بصلاة العشاء، وصلاة الإشراق، وأغلب أذكار هذا الراتب هي الأذكار النبوية، في الآثار الصحيحة المروية، وهذا الراتب هو ساق الطريقة، وعمادها الأعظم، فالمدار بعد أساس الطريقة عليه، ومنتهى الأمر كله في هذا الشأن إليه.

وقد شرحه رضي اللّٰه عنه بنفسه، شرحين، أحدهما صغير مفيد، والثاني كبير أطنب فيه، بما يغني العالم والمستفيد، أورد فيه الأحاديث المنبئة عن فضل تلك الأذكار، وكثير ثوابها، وفيضها المدرار، وهو شرح مع سعته مستلذ محبوب، لما تضمنه من غاية القصد المرغوب.

وبعد هذا الراتب في المغرب، سورة يس مرة، إلا ليلة الجمعة، فيقرأ بعد الراتب سورة الكهف مرة، وبعد الراتب في الصبح التوسلين، توسل الأسماء الحسنى، وبعده توسل الرجال، ثم سورة يس، ولها دعوة تقرأ قبلها.

ثم بعد يس الإخلاص ثلاث مرات.

ومبايعة تالية بعد الفراغ منه، أي مصافحة بعضهم بعضاً، على نية المؤاخاة في اللّٰه.

وقد شرح رضي اللّٰه عنه توسل الرجال، بنفسه، شرحاً مبيناً.

وأما توسل الأسماء الحسنى فقد شرحه تلميذه، الخليفة الصادق المأمون بن عبد المحمود، بأمر الإمام الختم له بذلك.

وعرَّف الشارح المذكور، أن الإمام الختم ألَّفه بالمدينة المنورة، وسبب تأليفه أنه وقف رضي اللَّه عنه بالمواجهة، فرأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فقال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، للإمام: (وفقت لقضاء حوائج المسلمين، وأمره إذ ذاك بتأليفه، وبشّره أن كل بيت منه، طريق موصل إلى اللَّه).

وقبل غروب الشمس بنحو ساعة، تقرأ التوسلات الاثنان جمعاً، والشكية والمحامد، والاستغفار الكبير، والاستغفار الصغير، والصلاة التي هي: [كلما له التجلي يتجدد].

وفي السحر بعد تمام أذكاره، وركعاته الثلاثة عشر، بالشفع والوتر، وما معها من الدعاء، تقرأ المناجاة أولاً، ثم المبتهجة، ثم الشكية، ثم المحامد، والاستغفار، ثم صلاة [كلما له التجلي يتجدد]، كما مرّ آنفاً في أذكار الإصفرار.

وقد تمت أذكار الجمع، التي هي في سائر الأيام، لأن له في رمضان خاصة، أذكاراً تقرأ في الجمع، عقب التراويح، وسيأتيك بيان كثير من الأذكار، التي ذكرناها لك مجملة مفصلة، في شرح الإمام الختم لها.

ولنكتب لك المناجاة، التي ذكرناها مجملة، لتقف منها على ما يدلك على نذر، من شأن جلالة هذا الإمام، ولنذكر ترجمتها أولاً، ثم نذكرها بعد ذلك، قال رضي اللَّه عنه:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، أحمدك يا من حليت أحبابك بمناجاتك في الأسحار، وجعلت حلاوتها في قلوبهم حتي ينالهم منها الإسكار، والصلاة والسلام على أعظم من فاز بأعلى المناجاة، من حضرة الأسماء والصفات والذات، وآله وصحبه الفائزين بهاطل مزن المسامرات، ما لاحت المكالمات الفاتحات، من جليل النظرات، وجميل الحضرات، وبعد، فيقول الراجي إدراك مقامات الإحسان، ونيل مشاهد الإيقان والعرفان، الميرغني

الختم محمد عثمان، كان له به في أعلى المنازل المنان: هذه نفثة حقية محمدية، ولمحة فاطمية، ومنحة خضرية، يستأنس بها في الأسحار، إذا جن الليل ورفعت الأستار، وكشفت الحجب وتجلى الغفار، ودهشت الأحباب من تلك الأسرار والأنوار، وسميتها: [نفثة الحي القيوم البر، من أنبوب حبيبه، والزهراء والخضر، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وآله وصحبه ما فاض البحر، وهي على حروف المعجم، لكل حرف ثلاث دعوات، وهي هذه:

(إلهي اكشف لي عن عالم الملك والملكوت، وافتح لي من هذه الساعة فتح العوالم إلى الجبروت، واطلعني على أسرارك المودعة في كل العوالم والناسوت، إلهي بلغني معرفة أكوانك وأسرارها، وبحرني في علومها وأنوارها، وازح عن قلبي حجبها وأغيارها، إلهي توجني بتاج المهابة في جميع الأكوان، وتولني بعنايتك الكبرى في سائر الأزمان، وتمم لي مقاصدي يا رحيم يا رحمن، إلهي ثبِّت بصري وبصيرتي لشهودك، وثقِّل ميزاني لأكون من خواص جنودك، وثبتني في مشاهد الكبرياء، مع الطالبين لمقصودك، إلهي جملني في الدارين بين عبادك، وجمَّل أعمالي بمحض فضلك ووِدادك، وجللني في الأكوان بمهابتك وإسعادك، إلهي حلني بالتقوى في سائر الأوقات، وحفني بعنايتك العظمى في سائر الساعات، وحسِّن أحوالي في الحياة وبعد الممات، إلهي خمِّر فؤادي بمحبتك السرمدية، وخلِّ فؤادي لمودتك العلية، وخلِّص سري لمعاملتك الأبدية، إلهي دلني على عبادك الذين يدلون عليك، وذللني في كل مشهد عظيم لأنقاد به إليك، وأدِمْ إخلاصي حتى يكون عملي كله مقبولاً لديك، إلهي ذرة من محبتك الخالصة، اذقني إياها، وذبالة قلبي اشعلها بإمدادها وسناها، وزدني في بحبوبات محبتك مع أخصاها، إلهي رقني لمشاهدة اللوح والقلم، وربني بمداد النون واليمن يا أكرم، ورضني بك لك حتى أحوز خير مغنم، إلهي زج بي في بحار أسرارك اللاهوتية، وزَمْزِم قلبي بمشاهدة ذاتك العلية، وزهدني فيما سواك ليدوم شربي بك بكرة وعشية، إلهي سلمني من آفات

الأغيار، وساعدني بكشفها والإعراض عنها يا ستار، وسامرني في كل ذرة منها حتى لا أرى غيرك فيها يا غفار، إلهي شرقني بشروق لاهوتيتك في ناسوتي، وشممني ذلك حتى لا أرى ولا أسمع إلا بك، في رغبوتي ورهبوتي، وشدد قوتي بذلك حتى أفوز برحموتي، إلهي صرفني في عالم الملك والملكوت، وصب علي أنوار الرحموت، وصم قلبي عن الالتفات لسواك من العرش إلى البهموت، إلهي ضمني إليك ضم فناء وبقاء بك، وضوىء لي بنورك لأشهدك في كل مكان مندرك، وضم فؤادى إليك وأروه بصافي شرابك، إلهي طهرني من النقائص والعيوب، واطوني في حال أنال به صحبة الخضر وصاحبه المحبوب، إلهي اظلني في ظل عرشك، يوم يحمى الزحام، وظلل علي بظل راياتك الفخام، وظميء فؤادي واروه بأنوار الإكرام، إلهي علني لأعلى مقامات الولاية، وعمَّرني في سطحها والنهاية، وعمني بفيضك الذي منحته الأقطاب والأفراد أهل العناية، إلهي غيبني في لجة مشاهدة الذات، واعمرني بها حتى لا أجد ولا أحس إلا لتلك الهبات، وعلني بك حتى أكون عزيزاً في الحضرات، إلهي فك لي كل سر مطلسم، وفرحني بالفناء والبقاء في نبيك الأعظم، وفرّج عن قلبي سويداء كل هم وغم، إلهي قني شر أعدائي، وجميع الأسواء، وقربني في من مشاهد القرب، ونجني من الأهواء، وقلبني في حضراتك وحضرات مصطفاك، حتى في المشاهد أقوى، إلهي كلّمني كل حين بمكالمة الأحباب، وكمّلني بنفحتك لأنال منازل الأقطاب، وكرّمني في الدارين بكرامة الأغوات والأنجاب، إلهي ضمنّي إليك ضماً أكيداً، ولف سري على مطالعتك لفاً مجيداً، ولحفني برداء صونك خلق حجاب عزتك الأحمى، لفاً فريداً، إلهي حققني في أعلى درجات القرب بلا إمتحان، وموّت نفسي حتى أفوز بالرضوان، واملأ قلبي بنورك واجعله بيت تجلياتك يا منان، إلهي نفحة من نفحاتك التي نفحت بها أولياءك وأنبياءك، ونسمة من نسماتك التي خصصت بها مصطفاك، ونيلة من نوالك الذي وهبته الزهراء

روح مجتباك، إلهي وصلني لأعلى مقامات الولاية، وولني الغوثية والرعاية، وارني كل سر كوني، أو إلهي منحته أهل العناية، إلهي أهطل عليّ مزن فيضك الصمداني، وهمم سري بإدراك وبلك الفرداني، وهيئني لخلافتك بمظهر نورك السبحاني، إلهي لا تردني فيما سألتك، ولا تخيب ظني فيما طلبتك، ولا تفضحني في الدنيا ولا في الآخرة بين خلقك، إلهي يمم وجهي ووجهتي إليك، وتمم سري لأفوز بما لديك، ويمني برك ومحبتك امنحنيها، لأكون كريمًا عليك، اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبيك، الذي أسألك به جميع ما سألت، وأطلب ببركته إدراك ما طلبت، واتبع آله وصحبه يا من أنت أنت، سبحانك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت [ثلاثاً]، برحمتك يا أرحم الراحمين) انتهى.

انتهت المناجاة المذكورة، ووارد هذه المناجاة ورد عليه آخر بعد الأذكار الجمعية والانفرادية.

وأما أذكاره التي تستعمل في حالة الانفراد، فكثيرة جداً، تحتاج إلى رغبة نامية، وهمة سامية، وهي مجموعة لوحدها، وقد شرحها الإمام رضي اللَّه عنه بنفسه، شرحاً لطيفاً، مختصراً فيه بعض إفادات، ربما لا توجد في غيره، وأبان فيها كذلك عن أذكار الجمع، وقد أستحسنا أن ننقلها كلها بشرحها، ليكون أتم للفائدة المطلوبة، ولكن هذه الأذكار قد رتب بعدها أذكاراً، زيادة عليها في الأوقات الخمسة، وهي:

الصلاة الأمية عشر: (اللَّهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً).

(أستغفر اللَّه العظيم، الذي لا إله الا هو، الحي القيوم، وأتوب إليه) مائة.

(لا إله إلا اللَّه) ألفين، على رأس كل مائة، تقول: سيدنا محمد رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، في كل لمحة ونفس، عدد ما وسعه علم اللَّه.

ثم: (الإخلاص) ألفاً، (يا حي يا قيوم) ألفاً، (اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه بقدر عظمة ذاتك يا أحد) مائة.

ومن جملة أذكار طريقته التي أجاز أتباعه فيها، [الصلاة المشيشية]، و[دلائل الخيرات]، و [حزب السيف]، و [أحزاب سيدي أبي الحسن الشاذلي]، و[حزب البر وحزب البحر]، و[حزب النصر] و[حزب الدور الأعلى] لسيدي محيي الدين ابن العربي.

ومن الأذكار المؤكدة، منها: تلاوة القرآن كل يوم، ولو ثلاثة أحزاب، قال: قيل لي في وارد نبوي: عليك أنت وأتباعك بتلاوة القرآن، كل يوم، ولو ثلاثة أحزاب، مدارسة مع الأخوان وذلك بعد صلاة الظهر، على حسب التيسير، أو ثلاثة أجزاء.

وكذلك كل يوم سبع، من أحزاب سيدي أحمد بن إدريس الاثنين، الذين هما [حزب التجليات الإلهية]، وباب من [صلاة المسبعة]، ومن له همة يقرأ يوم الجمعة حزب منها، ثم يقرأها كلها.

وثلثا كل يوم، من صلواته [باب الفيض والمدد].

وسبعة سور، تقرأ عند النوم، وهي واللَّه أعلم، لعلها: سورة الكهف، وآلم السجدة، ويس، والزمر، والدخان، والواقعة، والحشر، وتبارك الملك.

وقد أحببنا أن نذكر أن هناك واقعة، من وقائع القطب الإمام الختم، مع شيخه سيدي أحمد بن إدريس لما في ذكرها من الموافقة للمقام، وهي مدونة عند أتباعه، وقد نظمها رضي اللَّه عنه بنفسه، ولنذكر نشرها، ولندع نظمها، طلباً للاختصار المطلوب، مع حصول الفائدة المرغوبة، فنقول:

قال رضي اللَّه عنه: رأيت ليلة السبت، السبع خلون من جماد الثاني، سنة ١٢٤٢ هجرية، كأني أجيء إلى دكان بالمسعى، بالحرم المكي بين الصفا والمروة، بقرب المروة، ووجدت هناك أستاذنا، العارف باللَّه، سيدي أحمد بن إدريس، رضي اللَّه عنه، فجلست

بين يديه، وذكرت له بعض كلمات، سمعت أنها نقلت إليه عني، لا تليق بمعاملة جنابه، مع إني لم أقلها، وطال بيني وبينه الكلام في أمرها، وهو يقول لي: لم نقبل شيئاً من كلام الناقل ولم أصدق،ه لما نعلم من حالك، فطال كلامي في ذلك وهو يقول لي: ليس عندي في قلبي شيء من ذلك، ولم أقبل، ثم قلت حتى يقول لي بعض البشائر، عن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، ثم قال: قم امض بك إليه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فمضى بي على حضرته، فوجدت سيدنا محمدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، جالساً، بتلك الحضرة، وعلى رأسه تاج، وعمامة خضراء، وفي يده أسورة من الذهب، وعليه ثياب جميلة جداً، لا تشبه ثياب الدنيا، وهو على صورة لم يرى أحسن منها، بل ولا مثلها، فجلس بجانبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، وجلست أنا الحقير بجانبه الأخر، فقال سيدي أحمد بن إدريس، لسيدنا رسول اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: أخبره ببعض شيء من البشائر، فقال حتى يحضر فلان وفلان، يعني الخلفاء، وأمر شخصاً أن يناديهم، وكأنهم حضروا، ثم قال: حتى يحضر جماعة أكابر الأنبياء والرسل والملائكة، وأمر شخصاً أن يناديهم، فحضروا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ كلاماً طويلاً، وأطنب فيه، ونسيت أكثره إلا بعض كلمات منه، منها أنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: أول ما خلق اللَّه نوري، ثم أبرز منه نور ولدي هذين، أحمد بن إدريس، ومحمد عثمان الميرغني، وأشار إلينا، وهما أحب الناس إليّ في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس مني في كل منزلة في الدنيا، وفي الحشر، وفي الكثيب، والوسيلة، وكل موطن من مواطن البطون والظهور، وأصحابهم أقرب الناس مني في الدنيا والآخرة، من أحبهما أحبته، ومن أبغضهما أبغضته، وأطال في بحث هذا الكلام، ونسيت أكثره، والحمد لله على ذلك، ونسأل اللَّه الزيادة على ما هنالك، وصلَّى العزيز المالك، على رئيس الممالك، وآله وصحبه بدور الحوالك، ما أنهل فيضة فأروى كل واصل وسالك، ونفعنا اللَّه به، وبأستاذنا، وجعلنا ممن أختصه ورحمه، آمين.

وقد استحسن كذلك أن نتبع هذه الواقعة، ببعض قصائد للإمام الختم، وإن طال الكلام، لما في ذلك من جامع المناسبة، بينها وبين ما نلقيه من التحدث بكمال نعمة اللَّه عليه، وعظيم امتنانه، وهذه الأذكار تفسيراً مع أذكار الجمع إجمالاً، وقد بيَّناها لك، فعوِّل عليها بكليتك تعويلاً، وقد أوضحناها لك بشرحها للإمام نفسه، رضي اللَّه عنه، جعلنا اللَّه من الكارعين من فيضه، آمين، والحمد للَّه رب العالمين.

قَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

قد رأيت الحبيب ليلاً تجلى ... لجمال يسبي الورى ويهيل

لابساً حلة عيوني تكل ... أن تراها ويفضل التجميل

وجمالاً لم تر عيناي مثلاً له ... والصوت في يده جميل

وقد تحلى أساوراً من نضار ... ولجين والشأن ثم جليل

ولديه نادى أكابر رسلٍ ... وملائك والأنبياء ثم خليل

وإمامي شيخي بجنبي جليس ... ومفيد النظام جنباً نزيل

ثم قال الحبيب إن إلهي ... أول الخلق أبرز يا خليل

نوري المقبل ومن ذاك أبرز ... نور ابني هذين وهو يميل

بإشاراته إليّ وشيخي ... ثم قال الصفاء ذاك النبيل

هما في دنية وأخرى لدي ... أحب الخلق لأبيهما يا فضيل

أقرب الناس مني في كل منزل ... دنيا وأخرى وحشر بهيل

وكذا جنة كثيباً ومأوى ... من مواطن بطوننا يا خليل

وظهور ومن يحب لها هو ... أقرب الناس منهم نعم الوصيل

من يحب هذين حب جنابي من　　يبغضهما أبغض الشأن جليل
من بغضهما قصمته وأطال　　في الكلام العظيم ذاك الجميل
فعليه الإله صلَّى وسلَّم　　ما أفاض المدا وجاء هطيل

وَقَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

نَحْنُ المَفَاتِيحُ لِلحَضَرَاتِ أجْمَعِهَا　　وَنَحْنُ بَابُ الإِلَهِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَنَحْنُ مُتَّكَآتُ المُصْطَفَى طَهَ هَا　　وَنَحْنُ أَيْضًا فِرَاشُ الرّجلِ لِلأَبَدِ
وَنَحْنُ مِحْرَابُ دِيوَانِ الجَلِيلِ كَذَا　　نَحْنُ أُسُّ جِدَارِ البَيْتِ وَالمَدَدِ
وَنَحْنُ سَقْفُ رُبوعِ النُّورِ عُمْدَتِنَا　　وَنَحْنُ أَرْضُ دَوَاوِينٍ لِذِي الأَحَدِ
وَنَحْنُ أَقْفَالُهُ حُجَّابُ مَخْدَعِهِ　　وَنَحْنُ خُدَّامُهُ فِي سِرِّهِ الصَّمَدِ
وَنَحْنُ بَرْزَخُهُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالـ　　وِلايَةِ العُظْمَى أَيْ وَبَابُهُ الحَمْدِ
وَنَحْنُ خُطَّابُهُ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ　　وَنَحْنُ بُذَّالُ رُوحٍ نَرْتَجِي الجُودِ
وَنَحْنُ أَضْيَافُهُ فِي كُلِّ دِيوَانٍ　　وَنَحْنُ أَسْرَارُهُ فِي جُمْلَةِ الرَّشَدِ
فَمَنْ يُرِيدُ لِمَاذَا نَحْنُ قُلْنَاهُ　　يَأْتِي إِلَيْنَا بِإِخْلَاصٍ بِلَا بَدَدِ
نُعْطِيهِ مَأْمُولَهُ وَنُولِهِ فَوْقَاً　　وَذَا بِفَضْلِ مُرَقِّينَا العَلِي سَنَدِي
وَمَنْ يُقَافِي نسُدُّ البَابَ دُونَهُ لَا　　يَجِدْ دُخُولاً وَلَوْ قَدْ قَامَ بِالجَهَدِ
فَقُمْ مُرِيدَ الغِنَى وَدِيمَ فِينَا فَنَاً　　تَلْقَى عُلُوماً تَفُوقُ الحَصْرَ وَالعَدَدِ
وَقُلْ إِلَهِي بِخَتْمِ الأَوْلِيَاءِ أَفِضْ　　مُحَمَّدُ عَبْدُكُمْ عُثْمَانُ لِلمَدَدِ
وَقُلْ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْرِكْنِي　　بِمَا أُرَجِّيهِ مِنْ نَيْلٍ كَذَا سَعَدِ
تَجِدْ مُنَاكَ وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمْنًا　　لَهُ النَّبِيُّ بِيَوْمِ أُسْبُوعِ ذَا وَلَدِ

أَبْقَــاهُ رَبِّي وَأَحْيَــاهُ وَحَقَّقَــهُ ... بِاسْـمِهِ عَبْـدُهُ وَهَدْيُـهُ مَـدَدِي

كَـذَا وَإِخْوَانُـهُ وَالصَّـحْبُ أَجْمَعُهُـمْ ... بِحُرْمَةِ المُصْطَفَى مَنْ جَاءَ بِالسَّدَدِ

صَــلَّى عَلَيْــهِ مَــتَى بَــانَ قَائِلُنَـا ... يُجِبْ دُعَانَا بِيَـوْمِ اثْنَـيْنِ فِي العَـدَدِ

وَإِلِهِ وَصِــحَابٍ سَــادَةٍ عُظَمَــا ... مَا لَاحَ فِي حَرْقِيقُـوا يُؤَيِّـدَنْ مَـدَدِ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

إِلَـهِي ضَـاعَ العُمْـرُ مِـنِّي فِي الهَـوَى ... وَخُضْتُ بِحَارِ الجَهْـلِ عَمْـدًا بِغَفْلَـةِ

وَنَفْسِي جَاءَتْ وَهْيَ فِي عَسْـكَرٍ لَهَـا ... كَثِـيرَةُ خَيْـلٍ وَالسُّـيُوفِ الأَسِـنَّةِ

وَقَدْ أَلْبَسَتْ فُرْسَـانَهَا مِـنْ دُرُوعِهَـا ... وَأَعْطَـتْهُمْ السَّـهْمَ القَتِيـلَ لِقَتْلَـةِ

وَكُلُّ فَــتًى مِــنْهُمْ يَهُــزُّ وَيَعْــتَزِي ... وَكُلُّهُــمْ يَنْــوُوا بِتَضْـيِيعِ ذِمَّــةِ

وَهُـمْ رَتَّبُـوا تِلْـكَ الجُيُـوش أَصِـفَّةً ... مُرَبَّعَــةَ الأَرْكَانِ مِــنْ كُلِّ وِجْهَــةِ

وَكُلُّ وَزِيــرٍ ضَــمَّنَتْهُ جِهَاتِــهِ ... وَقَـالُوا لَهَـا سَـمْعَاً لَدَيْـكِ وَطَاعَـةِ

فَـهِيَ أَخَـذَتْ شِـقِّي اليَمِـينَ وَأَمَّـرَتْ ... لِإِبْلِـيسَ فِي شِـقِّي اليَسَـارِ بِحَرْسَـةِ

وَقُدَّامَهَا الدُّنْيَا وَمِـنْ خَلْفِهَـا الهَـوَى ... وَقَـدْ شَـدَّدُوا عَزْمـاً وَقَـامُوا بِهِمَّـةِ

وَجَــاءُوا لِأَرْضِي يُخْرِبُــونَ عِمَارِهَــا ... وَمَقْصُــودُهُمْ أَنْ يَمْلِكُــونِي بِرَهْبَـةِ

وَقَدْ هَدَمُوا جُـدْرَانَ حِصْـنِي وَفَرَّقُـوا ... جُيُـوشِي وَصَـدُّونِي فَصِـرْتُ رَهِينَـةِ

وَأَحْضَـرَتِ السَّـجَّانَ بَـيْنَ يَـدَيْهَا لِي ... وَقَالَــتْ لَهُ قَيِّــدْ وَغَلِّــلْ بِشِــدَّةِ

وَقَـدْ غَلَّلُـونِي بِالحَدِيـدِ مُسَلْسَـلًا ... وَضَرْبَــاً وَجِيعَــاً مَــرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةِ

وَمِـنْ بَعْـدِ هَـذَا أَمْتَثَلْـتُ لِأَمْـرِهِمْ ... وَطِعْـتُ لَهُـمْ طَـوْعًا بِغَـيْرِ كَرَاهَـةِ

هُمُ النَّفْسُ وَالدُّنْيَا وَإِبْلِيسُ وَالهَوَى قَدْ اسْتَمْلَكُونِي عِنْدَهُمْ عَبْدَ شِرْكَةِ

فَلَا زِلْتُ مَهْمُومَاً بِطَاعَتِهِمْ وَلِي مُسَارَعَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَخِدْمَةِ

فَأَوَّل شَرٍّ مِنْهُمْ قَدْ أَصَابَنِي غَفَلْتُ عَنِ الأَنْفَالِ يَا شُؤْمَ حَالَتِي

تَرَكْتُ لِذِكْرِ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ دَائِمَاً وَأَهْمَلْتُ لِلصَّوْمِ الَّذِي هُوَ غَايَتِي

وَعَنْ كُلِّ فِعْلِ الخَيْرِ نَفْسِي تَأَخَّرَتْ وَقَدْ نَسِيتُ قُرْآنَهَا مِنْ تِلَاوَةِ

فَصِرْتُ قَبِيحَ الحَالِ وَالذَّنْبُ عَمَّنِي وَمِنْ كَثْرَةِ العِصْيَانِ ضَاعَتْ فَرِيضَتِي

يَقُولُونَ إِخْوَانِي أَدِيبٌ وَصَالِحٌ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنِّي رَذِيلُ الحُوَيْلَةِ

يَظُنُّونَ بِي خَيْرَاً فَوَ اللَّهِ إِنَّنِي مُصِرٌّ عَلَى الذَّنْبِ العَظِيمِ وَتَوْبَةِ

فَلَا زِلْتُ عَنْ فِعْلِ الرَّشَادَ مُعَطَّلًا وَقَدْ فَازَ إِخْوَانِي بِخَيْرِ مَفَازَةِ

فَلِلَّهِ رَبِّي الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَا عَلَى مَا جَرَى لِي مِنْ عَزِيزِ الإِرَادَةِ

فَيَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا سَامِعَ النِّدَا سَأَلْتُ بِنُورِ الوَجْهِ إِقْبَلْ لِدَعْوَةِ

سَأَلْتُكَ يَا رَحْمَنُ يَا وَاسِعَ العَطَا وَيَا غَايَةَ اللَّاجِينَ فَرِّجْ لِكُرْبَةِ

وَجُدْ لِي بِنَصْرٍ مِنْكَ يَنْصُرُ عَسْكَرِي وَأَيِّدْهُمْ بَعْدَ الفِرَارِ بِرَجْعَةِ

وَأَيِّدْهُمُ بِالعِزِّ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى وَحَسِّنْ يَقِينَ الظَّنِّ فِي كُلِّ حَالَةِ

وَخَلِّصْنِي مِنْ كَيْدِ وَمَكْرِ حُوَيْسِدِي وَأَمِّنِّي مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَزَلَّةِ

وَأَحْمِي حِمَايَ وَاهْدِنِي وَتَوَلَّنِي بِلُطْفِكَ فِي الدَّارَيْنِ وَاحْيِي لِمُضْغَةِ

وَقَوِّ لِحَبْلِ الوَصْلِ لِي مِنْكَ دَائِمًا بِحُرْمَةِ مَنْ خَصَّصْتَهُ بِالوَسِيلَةِ

فَأَغْنِي بِهِ خَيْرَ النَّبِيِّينَ أَحْمَدٌ مُحَمَّدٌ المَحْمُودُ سِرُّ الخِزَانَةِ

وَبِالعَرْشِ وَالكُرْسِيِّ دَعْوَتُكَ وَالِهًا شَغُوفًا فَيَا مَوْلَايَ إِكْشِفْ لِغُمْتِي

وَعَامِلْنِي بِـاللُّطْفِ وَالتَّقْـوَى وَاهْـدِنِي   إِلَى سُبُلِ الخَـيْرَاتِ وَاكْتُـبْ سَـعَادَتِي

وَبِالبَيْـتِ أَعْنِيـهِ الَّذِي فَـوْقَ سَـابِعٍ   وَقَـدْ كَانَ لِلأَمْـلَاكِ بَيْـتَ زِيَـارَةِ

وَبِالمَسْـجِدِ الأَقْـصَى وَكُلِّ مُكَـوَّنٍ   وَبِالكَعْبَـةِ الغَـرَّا الَّـتِي هِيَ قِبْلَـتِي

بِكُلِّ نَـبِيٍّ مِـنْ أُولِي العَـزْمِ وَالنُّهَى   وَكُلِّ كِتَـابٍ جَـاءَ مِنْـكَ بِحِكْمَـةِ

بِأَنْ تَرْضَى عَـنِّي يَـا عَلِيمِ سَرَائِرِي   فَإِنَّـكَ ذُو عَفْـوٍ وَحِلْـمٍ وَرَأْفَـةِ

وَأَيْضًـا تَوَسَّـلْنَا بِكُـلِّ مُصَـاحِبٍ   لِخَـيْرِ الـوَرَى مِـنْ كُلِّ إِنْـسٍ وَجِنَّـةِ

بِمَنْ قَـالَ سَـيِّدُ المُرْسَـلِينَ فِي حَقِّـهِ   أَبُـو بَكْـرٍ الصِّـدِّيقُ عَـنِّي خَلِيفَـتِي

وَفِي عُمَـرَ الفَـارُوقِ قَـدْ قَـالَ إِنَّـهُ   سِرَاجٌ لِأَهْـلِ الجَنَّـةِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ

وَأَيْضًـا أَتَى فِي حَـقِّ عُثْمَـانَ قَـائِلًا   فَعُثْمَـانَ ذُو النُّـورَيْنِ أَخْـيَرُ أُمَّـةِ

مَدِينَـةُ عِلْـمِ اللَّهِ قَـالَ النَّـبِيُّ أَنَـا   وَكَـرَّارُ بَـابِي وَهْـوَ سِرُّ أَمَـانَتِي

بِـابْنَيْهِمُ بالأُمَّهَـاتِ جَمِـيعِهِمْ   وَبِالسِّـتَّةِ البَـاقِينَ إِقْـضِ لِدَعْـوَتِي

فَـإِنِّي بِهِـمْ ظَنَّيْـتُ خَـيْرًا وَإِنَّهُـمْ   لَهُمْ عِنْـدَ رَبِّ العَـرْشِ جَاهٌ وَرِفْعَـةِ

أَنَـالُ بِهِـمْ فِي الدَّارِ خَـيْرًا وَرَاحَـةً   وَأُحْشَـرُ مَعَهُـمْ يَـوْمَ حَشْـرٍ بِجَنَّـةِ

وَقَائِلُهَـا عُثْمَـانُ يَرْجُـو قَبُولَهَـا   لِيَرْفَعَـهُ المَـوْلَى لِأَعْلَى مَكَانَـةِ

فَهَـيِّءْ كَـرِيمَ الفَضْلِ خَـيْرًا يَعُمُّنَـا   وَأَخْصِـصْ أَبِي أُمِّي وَابْـنِي وَإِخْـوَتِي

فَصَلِّ عَلَيْـكَ اللَّهُ يَـا خَـيْرَ مَـنْ رَقَى   وَيَـا خَـيْرَ مَبْعُـوثٍ إِلَى خَـيْرِ أُمَّـةِ

وآلٍ وَأَصْـحَابٍ كِـرَامٍ أَئِمَّـةٍ   عَلَـيْهِمْ سَـلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ سَـاعَةِ

وَقَال رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

إِلَى مَرْكَـزِ الفَـيْضِ الإِلَـهِي تَوَجَّهْـتُ ... بِقَلْـبِي وَلُـبِّي طَالِبَـاً مِنْـهُ مَـا رُمْـتُ

بِبَرْنَـامَجِ المَـوْلَى الَّذِي أُودِعَـتْ بِـهِ ... جَمِيـعُ عُلُـومِ الغَيْـبِ وَاللَّه حَقَّقْـتُ

بِـهِ رَمْـزَةُ الأَعْلَى جَمِيـعُ الحَقَـائِقْ ... فَمِنْـهُ جَمِيعُ الرُّسْلِ تَقْـرَأ بِمَـا فُهْـتُ

رَئِـيسُ دَوَاوِيـنِ الإِلَهِ بِأَسْرِهَـا ... فَمَـا مِثْلُـهُ خَلْـقٌ وَتَـاللَّه أَقْسَـمْتُ

بِنَـاء إِلَـهِي بَيْـتُ خَلْـوَةِ نُـورِهِ ... وَأَوْدَعَ رُوحَ المُصْـطَفَى سِرَّهُ الثَّبْـتُ

فَـكُلُّ مَـلَاكِ الحَـقِّ وَالأَنْبِيَـا طُـرّاً ... مِنْ إِمْدَادِهِ مِنْ خَلْقِ حُجْبٍ لَهُ صَـمْتُ

إِذَا مَـا بَـدَا بِـاللَّه وَاللَّه إِنَّـهُ ... يُذِيبُ جَمِيعَ الرَّأْيِ فَاعْلَمْ وَقُـلْ صِـبْتُ

فَمَـا مَلَـكٌ أَوْ مُرْسَـلٌ أَوْ مَـوْلَىً ... سِوَى عَنْهُ يَلْقَى مَا مَنَحْـهُ كَـذَا نِلْـتُ

مِـدَادِي جَمِيعَـاً مِـنْ نَـوَالِ كَرَائِمِـهِ ... وَعَلَى حِجَابِ الصَّدْرِ وَالبَابِ أَشْـمَخَتْ

أَتَـانِي بِـبَلَدِ اللَّه جِبْرِيـلُ مَـعْ أَبِي ... وَشَيْخِي فَقُلْ يَا نِعْـمَ مَـا أَنَـا حَصَّـلْتُ

تَـرَقَّى بِـرُوحِي كَيْ يُـرِينِي مَقَامَـاتِ ... لِـكُلِّ الَّذِي يُـدْعَى وَلِيَّـاً فَبَـادَرْتُ

فَصَـارَ إِمَـامِي وَالأَمِـينُ وَشَـيْخُنَا ... يَسِيرُونَ حَتَّى قَـدْ وَصَـلَتُ بِمَـا فُهْـتُ

فَأَشْـهَدَنِي كُلَّ المَقَامَـاتِ عَـدُّهَا ... عَلَى عَـدِّ كُلِّ الأَنْبِيَـا قَـطُّ مَـا زِدْتُ

فَلَمَّـا أَرْتَقَيْـتُ بِهَـا فَصَـارَ يُفِيـدُنِي ... رِجَالاً بِهَا فَاتَتْ وَمِـنْ بَعْـدُ قَـدْ يَـأْتُ

وَأَنْظَـرَنِي عَشْـرَاً ثَلَاثَـاً وَقَـالَ لِي ... مَقَامَـاتُ أَقْطَـابٍ وَمَـا فِيهَـا أَكْمَلْـتُ

وَلَمَّا وَصَلْتُ السَّطْحَ أُرِيتُ أَجْرَاسَاً ... كِبَـارًا لِأَقْطَـابٍ وَأَفْـرَادٍ أُعْلِمْـتُ

وَصَـحْبٍ وَأَبْصَـرْتُ الأَكَـابِرَ كُلَّهُـمْ ... كَصَـدِّيقِنَا عُمَـرَض وَعُثْمَـانَ نَـاظَرْتُ

عَلِيٌّ وَغَـيْرُهُمْ وَمَـنْ كَانَ فِي بَـابٍ ... وَعَلَّمَـنِي أَسْـمَاءَهُمْ وَلَهُـمْ صُـنْتُ

وَعَــرَّفَنِي ذَا البَــابِ مِنْــهُ وَبَعْــدَ ذَا ... بِنُــورِهِ غَيَّبَــنِي وَزَجَّ بِنَــا سُــدْتُ

فَأَشْــهَدَنِي مَــا خَلْـفِ بَـابٍ وَحَيَّـانِي ... جَمَاعَــةُ رُسـلِ اللَّه مَعْهُــمْ تَكَلَّمْـتُ

وَهَنُّــونِي إِذْ كُنْـتُ الخِتَـامَ وَقِيـلَ لِي ... بِـأَنَّ جَمِيـعَ الأَوْلِيَـا لَـمْ يَكُـنْ ثَبْـتُ

لَهَمْ فِي وَصُولِ الَّذِي وَصَلْتُ فَمَا عَـسَى ... أَقُــولُ وَأَسْرَارٌ لَهَــا سِــرٌّ كَتَمْــتُ

وَسَــوْفَ بِحَــوْلِ اللَّه فِي دَارِ أُخْــرَةٍ ... وَدَارٍ مَزِيــدٍ وَالوَسِــيلَةِ مَــا نِلْــتُ

تَـرَاهُ جَمِيـعُ الصَّـحْبِ وَالحَمْـدُ لِلعَـلِي ... وَكُلُّ إِمَــامٍ قَــدْ تَوَسَّــطَ فِي الثَّبْــت

وَأَسْــأَلُ مِــنْ خَــيْرِ العِبَــادِ زِيَــادَةً ... وَقُرْبًــا وَتَحْقِيقًــا لِمَــا أَنَــا سَــطَّرْتُ

يَقُـولُ أَيَـا عُثْمَـانُ خُـذْهَا وَفَـوْقَ ذَا ... عَطَــاءٌ بِـلَا حَــدٍّ فَـذَا مَـا لَهُ رُمْـتُ

عَلَيْــهِ صَـلَاةُ اللَّه مَــا الخَـتْمُ عَـبَّرَ ... شُــهُودَ مَقَــامٍ نَـالَهُ وَبِـهِ شِـخْتُ

وَقَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

إِذَا مَا أَفَاضَ الفَيْضُ وَانْغَمَرَ العَبْـدُ ... فَـلَا ضِـدَّ فِي ذَاكَ الزَّمَـانِ وَلَا نِـدُّ

إِذَا مَا تَجَلَّى الحَقُّ لِلقَلْـبِ وَانْجَلَـتْ ... مِرَاتُ فُؤَادِ الصَّـبِّ وَارْتَفَـعَ السَّـدُّ

إِذَا مَا بَـدَى نُـورُ الكَمَـالِ لِسَـالِكٍ ... يَدَعْهُ بِسُـكْرٍ هَـائِمِ السِّـرِّ مُمْتَـدُّ

إِذَا مَـا شَـذَا سِرُّ الجَـلَالِ لِـوَالِهٍ ... تَحَـيَّرَ مِنْـهُ اللُّـبُّ أَمْنَحُـهُ الـوُدُّ

إِذَا مَا حَدَى حَادِي الجَمَالِ لِمُغْـرَمٍ ... يُغَيِّبُـهُ عَـنْ حِسِّـهِ لَـيْسَ يَـتْرَدُّ

إِذَا مَا بَـدىَ لَـوْحُ الرُّمُـوزِ لِعَـارِفٍ ... يَصِيرُ بِهِ مُغْرَمَاً وَقَـدْ تَمَّـمَ الوَجْـدُ

إِذَا مَا حِجَابُ الوَجْهِ وَالبُرْقُعُ الأَسْنَا ... تَـوَلَّى فَقُـلْ وَاللَّه مَـا ثَـمَّ لِي ضِـدُّ

إِذَا مَـا رِدَاءُ الكِبْرِيَـاءِ أَفَـادَ ذَا ... مِـدَادُ سَـنَاهُ لِلفَـتَى يُـذْهِبُ الصَّـدُّ

إِذَا مَـا الكَمَـالُ الأَحْمَـدِيُّ تَـوَجَّهَنْ ... بِسِـرِّي فَذَا وَاللَّه لِي غَايَـةُ القَصْـدِ

إِذَا جَـادَ دَوْمَـاً لِي شُـهُودُ مُحَيَّـاهُ ... فَفَوْزِي عَلَيْـهِ اللَّه صَـلَّى وَلَا عَـدُّ

إِذَا صَـلَّى مَوْلَانَـا عَلَيْـهِ بِقَـدْرِ ذَا ... وَرُسْلٍ وَآلٍ ثُمَّ صَحْبٍ كَذَا الجُنْـدُ

قصيدة للسيد محمد سر الختم الميرغني:

يمدح بها والده، الأستاذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم، رضي اللَّه عنهما:

عَيْنَ العِنَايَةِ نَالَ السَّعْدُ مَنْ نَظَرَهْ ... وَعَيْنُ إِمْدَادِهِ فِي الكَوْنِ مُنْفَجِرَهْ

وَفِي مَكَارِمِ أَخْلَاقٍ بِهِ جُمِعَتْ ... تَرَى المَكَارِمَ طُرًّا فِيهِ مُنْحَصِرَهْ

خِتَام فَاتِحَةِ العِرْفَانِ مَنْ سَبَقَتْ ... لَهُ العِنَايَةُ مِنْ مَوْلَاهُ فَافْتَخَرَهْ

مَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ فَاضْرِبْ لَهُ مَثْلَاً ... تَاللَّهِ أَحْسَنُ مِنْهُ الحُمْرُ وَالبَقَرَهْ

وَمَنْ أَنَاخَ بِبَابٍ حَوْلَ حَضْرَتِهِ ... رِكَابَ آمَالِهِ فَلْيَقْضِ مَا أَمَرَهْ

وَلْيَبْلُغِ المَجْدَ مَهْمَا عَاشَ مُرْتَقِيَاً ... وَأَنَّ ذِمَّتَهُ لَيْسَتْ بِمُنْخَفِرَهْ

وَآلُ عِمْرَانَ إِنْ سَادُوا بِمَرْيَمِهِمْ ... فَخْرًا فَمِنْكَ خِتَامُ القَوْمِ مُفْتَخِرَهْ

مَا لِلنِّسَا وَلَدٌ كَالخَتْمِ نِعْمَ فَتًى ... مَنْ مِنْهُ مَائِدَةُ الإِمْدَادِ مُدَّخَرَهْ

مَا قَارَبَتْ تُنْكِرُ الأَنْعَامُ شُهْرَتَهُ ... أَعْرَافُهُ المِسْكُ بَلْ فَاقَتْ لَهُ ذُفَرَهْ

وَكَمْ حَبَاهُ بِأَنْفَالٍ إِلَهِي مِنْ ... جَزِيلِ إِنْعَامِهِ لَيْسَتْ بِمُنْحَصِرَهْ

مِنْ ذَاكَ تَوْبَةُ مَنْ وَافَاهُ يَقْبَلُهَا ... رَبِّي كَيُونُسَ تَابَتْ قَوْمُهُ الكَفَرَهْ

فَتَابَ رَبِّي عَلَيْهِمْ وَاسْتَجَابَ لَهُمْ ... وَقَوْمُ هُودٍ هُمْ أَعْدَاؤُهُ الأَشِرَهْ

قَدْ حَازَ يُوسُفُ شَطْرَ الحُسْنِ حِينَ بَدَا ... وَسَائِرُ الحُسْنِ فِيكَ اللَّهُ قَدْ سَطَرَهْ

بَلْ أَنْتَ يَا خَتْمَ كُلِّ العَارِفِينَ غَدَا ... تَسْبِيحُكَ الرَّعْدُ نَرْجُو بَعْدَهُ مَطَرَهْ

وَرِثْتَ خُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ مَنْ جُعِلَتْ ... بَرْدًا لَهُ النَّارُ فِيهَا النَّجْمَ وَالشَّجَرَهْ

وَجَاءَ جِدُّكَ فِي الحِجْرِ الأَمِينُ لِكَيْ ... يَسْرِي بِهِ لِيَرَى لِلحَضْرَةِ النَّضِرَهْ

وَالشَّهْدُ وَالخَمْرُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِإِنَا ... وَالدُّرُّ فِي قَدَحٍ وَالكُلُّ قَدْ نَظَرَهْ

خَـيْرُ البَرِيَّـةِ وَالتَّخْيِـيرُ جَـاءَ لَهُ   مِنْ شَرْبَةِ المَاءِ أَوْ مَا النَّحْـلُ مُبْتَـدِرَهْ
فَـكَانَ أَرْحَـمَ كُلّ العَـالَمِينَ بِنَـا   وَاخْتَـارَ فِطْـرَةَ مَـوْلَاهُ الَّذِي فَطَـرَهْ
سُـبْحَانَ كَهْـفِ الـوَرَى مَـنْ خَـصَّ   مَرْيَمَنَا زَوْجًا لِطَه إِذَا مَا الخَلْـقُ مُنْتَشِرَهْ
وَالأَنْبِيَـاء كُلُّ فَـرْدٍ حَـجَّ أُمَّتَـهُ   وَالمُؤْمِنُـونَ بِنُـورِ اللَّه مُنْتَظِـرَهْ
رَجَاء الشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ الحِسَاب بِمَنْ   عَلَيْـهِ قَـدْ أُنْـزِلَ القُـرْآنُ وَاعْتَـبَرَهْ
واللَّه لَـوْ شُـعَرَاءُ الكَـوْنِ قَاطِبَـةً   مِـنْ كُلّ مَـاضٍ وَآتٍ وَالَّذِي حَضَـرَهْ
أَفْنَـوْا جَمِيعُهُمُـو الأَوْقَـاتَ يَمْتَـدِحُوا   لِلخَتْمِ لَمْ يَبْلُغُوا مِـنْ وَصْفِهِ عُشُـرَهْ
حَـتَّى وَلَـوْ كَانَ عَـدَّ النَّمْـلِ كَـثْرَتُهُمْ   وَضِعْفُ مَا حَوَتِ الأَكْوَانُ مِـنْ مَـدَرَهْ
فَفِيـهِ أَوْدَعَ رَبِّي كُلَّ مَكْرُمَـةٍ   قَدْ أَعْجَزَ الـرَّبُّ عَـنْ إِدْرَاكِهَـا بَشَـرَهْ
يَكْفِيهِ مَا قَصَّهُ المُخْتَارُ مِنْ قَصَصٍ   يَقُـولُ بِـاللَّه أَقْسَـامًا غَـدَتْ بَـرَرَهْ
واللَّه واللَّه يَـا عُثْمَـانُ إِنَّـكَ مِـنْ   بَعْـدِي لَأَفْضَـلُ كُلّ الأَوْلِيَـا الـبَرَرَهْ
فَـكُلُّ حُجَّـةِ مَـنْ عَادَاهُ وَاهِيَـةٌ   كَالعَنْكَبُـوتِ وَهَنَـتْ أَبْيَاتُهَـا القَـذِرَهْ
تَاللَّه مَا هُمْ سِوَى الرُّومِ الَّذِينَ كَفَرُوا   يَـوْمِ القِيَامَـةِ تَعْلُـو وُجُـوهَهُمْ قَـتَرَهْ
عِنَايَـةُ اللَّه حَفَّتْـهُ وَحِكْمَتُـهُ   مَا حَازَ لُقْمَانُ مِنْهَا عُشْـرَ مَـا حَـذَرَهْ
وَلَـوْ تُقَـاسُ بِفِعْـلِ الخَلْـقِ سَـجْدَتُهُ   لَسَجْدَةٌ مِنْـهُ تَسْـمُو غَـيْرَ مُنْحَصِـرَهْ
وَكُلُّ مَـنْ كَانَ مِـنْ أَحْزَابِـهِ فَلَـهُ   كَـأَجْرِ سَـبْعِينَ مِمَّـنْ لِلنَّـبِيِّ حَضَـرَهْ
وَكُلُّ مَـنْ كَانَ مِـنْ أَعْدَائِـهِ فَلَـهُ   خِزْيٌ كَمِثْل سَبَا إِذَا أَصْبَحَتْ خَسِـرَهْ
يَا فَـاطِرَ الخَلْـقِ نِـلْ عُثْمَانَ مَطْلَبَـهُ   بِجَـاهِ يـس بَلِّـغْ خَتْمَنَـا وَطَـرَهْ
وَبِالمَلَائِكَـةِ الصَّـافَّاتِ يَـا سَـنَدِي   وَالخَـتْمِ تَجْعَـلْ خَطَايَـا الـكُلِّ مُغْتَفِـرَهْ

قَدْ صَادَ عَسْكَرُ ذَنْبِي مُهْجَتِي فَغَدَتْ فِي قَرْيَةِ القَلْبِ حَتَّى فَرَّقَتْ زُمُرَهْ
يَا غَافِرَ الذَّنْبِ غُفْرَانًا بِجَاهِ نَبِيٍّ فُصِّلَتْ مِنْهُ آيَاتُ الهُدَى نَيِّرَهْ
بِجَاهِ قَوْمٍ غَدَا فِي الكَوْنِ أَمْرُهُمُ شُورَى وَأَنْفُسُهُمْ بِالحَقِّ مُؤْتَمِرَهْ
تُطَهِّرُ القَلْبَ مِنْ أَدْرَانِهِ أَبَدًا بِنَزْعِ زُخْرُفِ دُنْيَا حُبُّهَا غَمَرَهْ
يَوْم الدُّخَان وَيَوْم الخَلْقِ جَاثِيَة يَوْم تَرَى أُمَّةَ الأَحْقَاف مُنْدَحِرَهْ
وَنَحْنُ لَا عَمَلٌ يُرْضِي الإِلَهَ لَنَا إِلَّا مَحَبَّةُ خَتْم الأَوْلِيَا الفَخَرَهْ
مَنْ قَدْ أَتَى بِقِتَالِ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا حَتَّى حَوَى الفَتْحُ مِنْ مَوْلَاهُ وَابْتَدَرَ
وَنَالَ مِنْ حُجُرَاتِ النَّفْسِ فَكَّ عُرًى قَدْ أَوْثَقَتْ حَلَّهَا مِنْ دُونِهِ عَسِرَهْ
يَا سَيِّدًا لَمْ يَزَلْ قَافًا لِأَحْمَدِنَا وَالذَّارِيَاتُ عَلَى الأَعْدَاءِ مُنْتَصِرَهْ
وَالطُّورُ وَالنَّجْمُ فِي عَلْيَاءِهِ وَاقْتَرَبَتْ وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ كُلُّ الكَوْنِ مَا قَدَرَهْ
ذَا سَيِّدٌ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ مِنْهُ بِمَا لَوْ رَامَ مَنْ رَامَ إِحْصَاهُ لَمَا حَصَرَهْ
مَنْ لَاذَ بِالخَتْمِ إِذْ نَابَتْهُ وَاقِعَةٌ مِثْلُ الحَدِيدِ وَرَتْ نَارَ الوَرَى شَرَرَهْ
يَكْفِيهِ ذَاكَ وَفِي العُقْبَى مُجَادَلَةُ فِي الحَشْرِ يَوْمَ إِمْتِحَانِ اللَّهِ مَنْ وَزَرَهْ
وَصُفَّ صَفٌّ كَصَفِّ الخَلْقِ فِي جَمْعٍ مَا جَمْعُهُ مِثْلُ جَمْعٍ صَفْوُهُ كَدَرَهْ
وَتَنْظُرُ المُنْكِرِينَ الخَتْمَ مَنْ سُمُّوا المُنَافِقِينَ لَهُمْ كُلُّ الوَرَى حَقَرَهْ
يَوْمُ التَّغَابُنَ مَغْبُونِينَ لَيْسَ لَهُمْ جَاهٌ أَعَدَّ لَهُمْ مَوْلَى الوَرَى سَقَرَهْ
واللَّهِ لَوْ رَامَ أَعْدَاه مَضَرَّتَهُ تاللَّهِ لَنْ يَبْلُغُوا طُولَ المَدَى ضَرَرَهْ
طَلَاقُكَ المَرَّةَ الدُّنْيَا لَهَا حَقَرًا لِأَنَّهَا عِنْدَ مَوْلَى الخَلْقِ مُحْتَقَرَهْ
قَدْ نَالَهَا مِنْكَ تَحْرِيمٌ وَرَبِّي قَدْ آتَاكَ مُلْكًا لَهُ الأَكْوَانُ مُنْتَظَرَهْ

مِنْ نُورِ جَدِّكَ خَلْقُ النُّونِ كَانَ فَكُنْ ... فِي يَـوْمِ حَاقَـةِ لِي وَالـكُلُّ فِي حَـيْرَهْ
يَـوْمَ المَعَـارِجِ فَاسْـتَغْفِرْ لِمُـذْنِبِنَا ... وَلَا تَقُـلْ مِثْـلَ نُـوحٍ رَبِّ لَا تَـذَرَهْ
يَا مُرْشِدَ الجِـنِّ مِثْـلَ الإِنْـسِ مُقْتَفِيَـاً ... لِخُلْـقِ مُزَمِّـلِ مُـدَّثِّرٍ أَثَـرَهْ
يَـوْمِ القِيَامَـةِ لَا نَرْجُـو سِـوَاكَ فَهَـلْ ... أَتَى لَنَـا مَـنْ لَهُ الأَكْـوَانُ مُفْتَقِـرَهْ
سِوَاكَ مَنْ مُرْسَلَاتُ الفَيْضِ مِنْهُ سَقَتْ ... أَرَاضِي القَلْـبِ حَـتَّى أَيْنَعَـتْ ثَمَـرَهْ
وَعَـمَّ لِلخَلْـقِ مِنْـهُ النَّفْـعُ فَانْتَفَعَـتْ ... كُلُّ الأَنَـامِ بِمَـا مِـنْ رُوحِـهِ نَشَـرَه
لَا زَالَ مِـنْ نَـازِعَاتِ النَّفْـسِ مُنْقِـذِنَا ... كَذَاكَ مِنْ عَـبَسِ الوَسْوَاسِ وَالخَطَـرَهْ
إِذْ كُوِّرَتْ نَفْسُ مَنْ يَهْـوَاهُ وَانْفَطَـرَتْ ... حَتَّى غَدَتْ مِنْ غَرَامِ الوَجْـدِ مُنْفَطِـرَهْ
وَلَمْ تَكُنْ طَفَّفَتْ فِي الحُبِّ أَوْ بَخَسَتْ ... خَوْفًـا مِـنَ الصَّـدِّ وَالهِجْـرَانِ مُحْتَـذِرَهْ
يَـوْمَ إِنْشِـقَاقِ السَّـمَا ذَاتِ الـبُرُوجِ إِذَا ... نَادَى الوَرَى طَارِقٌ مَوْلَى الـوَرَى أَمَـرَهْ
وَجَاءَنَـا المَلِـكُ الأَعْلَى يُحَاسِـبُنَا ... فِي يَـوْمِ غَاشِـيَةٍ وَالشَّـمْسُ مُنْحَـدِرَهْ
وَالْفَجْـرُ مُنْعَـدِمٌ وَالخَلْـقُ فِي بَـلَدٍ ... غَـيْرِ البِـلَادِ وَأَهْـوَالٍ بَـدَتْ عَسِـرَهْ
فَلَـيْسَ إِلَّاكَ يَا شَـمْسُ جَلَـتْ كُرَبَـاً ... كَاللَّيْـلِ بَـلْ هِيَ أَدْهَى مِنْـهُ مُعْتَكِـرَهْ
فَأَنْتَ بَـدْرُ الهُـدَى مَـنْ جَاءَ مُتَّبِعًـا ... لِسَيِّدِ الشَّـرْعِ حَـتَّى كَالضُّحَى شَـهَرَهْ
عَسَى بِفَضْلِكَ شَرْحُ الصَّـدْرِ يَشْـمَلُنَا ... فِي دَارِ دُنْيَا وَمَنْ فِيهَـا الـوَرَى غَـرَرَهْ
وَخَـالِقِ التِّـينِ وَالإِنْسَـانِ مِـنْ عَلَّـقٍ ... لَأَنْـتَ كَالقَـدْرِ فِي الإِنْسَـانِ مُشْـتَهِرَهْ
وَلَـمْ يَكُـنْ لِمُحِـبٍّ يَـوْمَ زَلْزَلَـةٍ ... غَـوْثٌ سِـوَاكَ بِـهِ يَنْجُـو مِـنَ العَـثَرَهْ
وَمَـرّ كَالعَادِيَـاتِ المُخْلِصُـونَ عَلَى ... مَتْنِ الصِّـرَاطِ وَذُو الأَسْـوَاءِ مُنْـذِعِرَهْ
فِي يَـوْمِ قَارِعَـةٍ مَالْهَـا كُمُوا أَبَـدًا ... عَـنِ المُحِبِّـينَ شَيْءُ وَهْيَ مُنْتَظِـرَهْ

وَالعَصْرُ عَصْرِكَ يَا ذُخْرِي وَمُعْتَمَدِي ... وَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الفَجَرَهْ

جَزَاهُمُوا مِثْلَ أَهْلِ الفِيلِ تَرْجُمُهُمْ ... طَيْرٌ بِنَارٍ مِنَ الجَبَّارِ مُسْتَعِرَهْ

إِذَا أَنْكَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ أَصْل نِسْبَتِهِ ... مِنْ سَادَةٍ رَبُّنَا تَطْهِيرُهُمْ ذَكَرَهْ

يَا سَيِّدِي أَنْتَ مَاعُونُ الوِلَايَةِ قَدْ ... شَرِبْتَ كَوْثَرَهَا الصَّافِي فَلَا عَكَرَهْ

أَلَا عَلَى الكَافِرِينَ البَاغِضِينَ لَكُمْ ... عَلَيْهِمُ النَّسْرُ تُمْسِي وَهْيَ مُقْتَدِرَهْ

تَبَّتْ يَدَاهُمْ لَهُمْ خِزْيٌ وَمَطْرَدَةٌ ... وَمَنْ أَتَاكَ بِإِخْلَاصٍ حَوَى وَطَرَهْ

أَتَى لَهُ الخَيْرُ وَالإِمْدَادُ مُنْسَحِبًا ... كَمَا أَتَى فَلَقُ الإِصْبَاحِ مُنْسَفِرَهْ

فَلَوْ وَافَاكَ جَمِيعُ النَّاسِ يَا سَنَدِي ... لَعَمَّهُمْ فَيْضُ إِمْدَادَاتِكَ العَطِرَهْ

يَا غَايَةَ القَصْدِ وَافَتْكُمْ مُخَدَّرَةٌ ... بِنْتٌ مِنَ الفِكْرِ حَلَّتْ مِنْهُ مُبْتَكِرَهْ

عَسَى القَبُولُ يُوَافِيهَا وَقَائِلَهَا ... وَكُلَّ مَنْ سَمِعَ الإِنْشَادَ أَوْ حَضَرَهْ

وَبَعْدُ صَلَّى إِلَهُ العَرْشِ مَا طَلَعَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ خَيرَهْ

وَآلِهِ الغُرِّ وَالصَّحْبِ الكِرَامِ مَدَى ... مَا أَطْلَعَ اللَّهُ فِي أُفُقِ الهُدَى قَمَرَهْ

وَغَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِ الأَيْكِ مُطْرِبَةٌ ... تُذَكِّرُ العَاشِقَ الوَلْهَانَ مَنْ هَجَرَهْ

وَأَنْشَدَ الصَّبُّ مُشْتَاقًا وَقَالَ فَتًى ... عَيْنُ العِنَايَةِ نَالَ السَّعْدُ مَنْ نَظَرَهْ

وقال الفقير القاصر، أحمد بن إدريس: [منشئ هذه الرسالة]:

وذلك أني لما كنت بمكة المشرفة، توجهت إلى المعلا، لزيارة السيدة خديجة، وزيارته، فقلت هذه القصيدة، فيه رضي اللَّه عنه:

أيا سيدي عثمان يا علم الهدى ... وبدر الدجى بين النجوم الزواهر

وشمس سماء الأفق في داجن البلا ... إذا ضلت الآراء من كل ماهر

ودور رحاء الكون في عصرنا وما ... أرى أن تقييدي إليك بحاجر

فيا صاحب الإطلاق في كل مشهد ... كريم نزيه عن لحوق مشاهر

ويا وارثاً نور الكمال المحمدي ... على الإقتداء السامي لكل معاصر

ويا شارباً من سلسبيل معارف ... علت وغلت عن إدراك كل مكابر

ويا صاحباً ذيل الإحاطة والولاء ... على الأولياء من صاغرهم وكابر

ويا جالياً ليل الدياجي بنوره ... وعلم لدني سما عن مناظر

فكم فزت بالعرفان بين أولى ... النهى وأسقيت بالإمداد كل مسامر

وأرشدت للدين الحنيفي أمة ... تنوف عن التعداد من كل حاصر

وأوصلت أقواماً إلى اللَّه كلهم ... غذوا في سنام المجد حكم الجواهر

وشيدت بالتأييد قوماً كأنهم ... بدور تجلت في سماء المظاهر

وأتحفت بالأسرار من شئت بالثناء ... ضياءً ونوراً خلف حجب الستائر

وكم لك عند اللَّه والجد أحمد ... رسول الهدى من نعيم وبشائر

ومن نعم كبرى تضيق لذكراها ... صدور الورى إذ ما تمر بخاطر

لمشهدها تعنوا الفجول ودونها ... تتيه أولوا العرفان أهل الدوائر

ولقبك المختار بالختم فاقتدى بك الكل مأموماً بغيب وظاهر
وإلبست تاج العز والود والذي سما عزه عن لاحق ومفاخر
ومعك رسول الله في كل لحظة فيالك من عز منيع المصادر
يا لك من فخر ويا لك من ثناء ويا لك من مجد خفي وظاهر
تقر به الأرض البسيطة والسماء وتجهله الجهال عمي البصائر
وما ضر شمس الأفق في فلك العلى جحود عيون ما لها من نواظر
ومن خير بيت أنت من خير بلدة ومن نسب عالٍ شريف وطاهر
لك الحسب الأعلى الأعم الذي له تقر الورى جمعاً بأولى وآخر
إذ قيل من أهل السيادة والولاء ومن أهل دين الله بين العشائر
توحد قول الكل فيكم بإنكم أهل الولاء من كل بدو وحاضر
أولئك المراغنة الذين تبوَّءُوا مقاعد صدق بين جند الأكابر
وفضلهم طارت به ألسن الثناء بشرق وغرب عند بدو وحاضر
ألا يا أبي شمس الهدى حسن العلى ووالد سر الختم سر السرائر
ووالد بحر الفيض جعفر ذا الندى ووالد سادات نجوم زواهر
ثناك لا يحصى وسطره الأولى بكتبهم في متقنات الدفاتر
فإنك معروف الكرامة في السماء وفي الأرض يا ماء الوجوه النواظر
وما ضر قدح فيك يا منبع الهدى إذ كنت بحراً بالمعارف زاخر
إذ وسع الرحمن قلبك كيف لي بمدحك ما شاء أن يمر بخاطر
وكيف أرجي أن أحوم بسوحكم وأطرق أبواباً ذهت بالحضائر

فإنك من طه المكرم رحمة ... كما هو من مولاه قطب الدوائر

ولم أقل فيما قلت فيك وأنا ... عن الشرح في معناك أقصر قاصر

إذا كان يوم الحشر يظهر فضلكم ... لكل الورى من مزعن ومكابر

وترجو جميع العالمين نداكمو ... لدى جدكم يس كنز الذخائر

وتغمر رحماكم جميع الورى فما ... تغادر منهم جحود وشاكر

فيا ختم أهل الله يا قمر الدجى ... ويا عروة الإيمان يا خير ناصر

سألتك بالجد المكرم أحمد ... شفيع الورى غوث اللّهيف المحاذر

فاكشف بحق المصطفى داجن البلا ... عن الأهل والأبناء ومكر الماكر

وخلصهم من ورطة طال كربها ... واجمعهم كُلاً بخير المحاضر

واصلحهم وأصلح بهم ذمر الورى ... وأيد بهم دين الهدي بالبواتر

وأكشف عن الأخوان ما دهموا به ... من الهم والغم العظيم المحاصر

وأحيي طريق القوم بعد دروسه ... فقد صار ممحو الرسوم وداثر

فأنت لدي المختار ابن مبجل ... وليس إذا شفعت فينا بضائر

فاسرع وغث وانشل فأنا بحالة ... يرق لها قلب العدو المحاجر

وغث رقكم يا سيدي بعناية ... تزكي بها نفسي وتصلح سرائر

وترضى بها شيخي ابنك حسن ... الرضى علي فيحبوني بكل البشائر

ويجعلني مجلاه فضلاً ومنة ... ويحرسني من كل أمر مغاير

ويرزقني أدب القرآن تكرماً ... علي حسب الأنفاس في كل صادر

ويحرسني من كل سوء يؤمني ... لدى الدين والدنيا و كل الكبائر

ويجمع لي شرعي وعقلي بقوة ... إلهية تنمو بلحظ النواظر

على قدم المختار طيه محمد ... بمحض عطاء الفضل يا هدى الحائر

فأصبح مسروراً بسر وجودكم ... دواماً إلى أبد الآباد من غير حاجر

على أحمد المختار صلَّى إلهنا ... دواماً متى ما لاح برق لناظر

وسلَّم تسليماً وارضا كموا به ... جميعاً دوام الدهر في غير آخر

وهذه القصيدة، للعالم الجليل، الخليفة الشيخ البشير.

الملقب بـ[الترابي]، في مدح الإمام الختم، رضي اللّه عنه:

يَا رَبِّ ارْضَ عَنِ الخَتْمِ الَّذِي ظَهَرَا ... بَيْنَ الأَمَاجِدِ وَالسَّادَاتِ وَالأُمَرَا

قُطْبِ الزَّمَانِ وَغَوْثِ الدَّهْرِ مُنْفَرِدَا ... مِيزَابِ رحْمَةِ رَبِّ العَرْشِ للفُقَرَا

سُلَالَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّه عِتْرَتُهُ ... بِاللَّه تَاللَّه حَقَّاً لَيْسَ فِيهِ مِرَا

يَجْلِسْ مَعَ النَّاسِ لاَ تَمْيِيزَ بَيْنَهُمُ ... إِلَّا بِنُورٍ لَهُ بَيْنَ المَلَأ ظَهَرَا

يَجْلِسْ يُخَاطِبُهُمْ لِكَيْ يُعَلِّمَهُمُ ... ثَغْرَاً نَضِيدَاً وَنُطْقَاً يُشْبِهُ الدُّرَرَا

يُفِيدُهُمْ فِي عُلُومٍ لَا نَظِيرَ لَهَا ... عِلْمَ الحَقِيقَةِ والشَّرْعَ الَّذِي ظَهَرا

وثَانِياً فِي حَدِيثِ المُصْطَفَى وَفِي ... كُتْبِ التَّفَاسِيرِ ثُمَّ النَّحْوِ وَالسِّيَرَا

فَاقَ الأَكَابِرَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي رَسْمٍ وَلَا فَخَرَا

الشَّاهِدُ الطَّاهِرُ الأُسْتَاذُ مِنْ قِدَمٍ ... النَّاسِخُ الرَّاسِخُ الأَسْرَارِ وَالغِيَرَا

العَالِمُ العَامِلُ المَتْبُوعُ فِي عَمَلٍ ... القَائِمُ اللَّيْلِ بِالأَقْدَامِ وَالسَّهَرَا

يَا مُنْكِرِينَ عَلَى الخَتْمِ الَّذِي ظَهَرَا ... بُشْرَاكُمُ بِعَمَاءِ القَلْبِ وَالبَصَرَا

فَهَلْ لَكُمْ مِنْ أَبٍ فِي الحَشْرِ يُرْجَى ... لَهُ جَاهٌ إِذَا مَا العُصَاةُ يُلْقَوْنَ فِي سَقَرَا

أَوْ هَلْ لَكُمْ مِنْ شَفِيعٍ فِي المَعَادِ إِذَا ... ضَاقَ الخِنَاقُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالفُجَرَا

فَكَيْفَ يَا خَاسِرُونَ تُنْكِرُونَ عَلَى ... مَنْ رَافِلٌ فِي ثَوْبِ الهَنَا فَخَرَا

يَكْفِيكَ فِي فَخْرِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا أَدَبٍ ... لِأَنَّهُ مِنْ بَنِي السِّبْطَيْنِ وَالزَّهَرَا

أَهْلُ المَقَامِ وبَيْتٍ عِنْدَهُ حَرَمٌ ... وَزَمْزَمَ وَالصَّفَا وَالحِجْرِ وَالحَجَرَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ خَاتِمَةٌ ... مَا لَاحَ بَرْقٌ وَهَبَّتْ نَسْمَةُ السَّحَرَا

وقال فيه أيضاً الأخ في اللّه، أبو بكر أبو المعالي:

بإشارة من أستاذي وسيدي محمد الحسن، رضي اللّه عنه، وكان نعم الأخ، ذو إدراك تام، وبصيرة نافذة في إشارات أهل اللّه، ومواجيدهم الباطنية، وهي:

سَلَامُ التَّجَلِّي فِي رَفِيعِ الْحَضَائِرِ ... عَلَى رُوحِ خَتْمِ الْقَوْمِ قُطْبِ الدَّوَائِرِ

أَبَرْقٌ مِنَ الإِطْلَاقِ لَاحَ لِنَاظِرِي ... أَمِ النُّورُ مِنْ مَوْلَايَ عَمَّمَ سَائِرِي

أَمِ الْحَضْرَةُ الْعُلْيَا تَجَلَّتْ فَأَبْرَزَتْ ... هَيَاكِلَ أَنْوَارٍ سَمَوْا فِي الضَّمَائِرِ

وَيَاقُوتَةُ الآزَالِ مَا زَالَ مُلْكُهَا ... إِلَى أَبَدِ الآبَادِ فَوْقَ الْعَنَاصِرِ

وَكَانَتْ تُسَمَّى قَبْضَةَ النُّورِ أَوَّلاً ... وَتُدْعَى تَجَلِّيَ الذَّاتِ خَلْفَ السَّتَائِرِ

إِلَى أَنْ تَبَدَّى سِرُّهَا مِنْ غُيُوبِهَا ... بِحَضَرَاتِ أَسْمَاءٍ وَكُلِّ الْمَظَاهِرِ

فَدَارَ عَلَيْهَا فِي جَوَامِعِ عِزِّهَا ... بِهَا فَلَكُ الأَسْمَاءِ سَامِي الْمَفَاخِرِ

وَعَنْهَا كَمَالَاتُ الصِّفَاتِ تَفَجَّرَتْ ... بِبَحْرٍ مُحِيطٍ فِي الْبَوَاطِنِ زَاخِرِ

تَنَفَّسَ هَذَا الْبَحْرُ أَبْرَزَ دُرَّةً ... سَمَتْ عَنْ عُلُومِ الخَلْقِ لَا كَالْجَوَاهِرِ

سَنَاهَا أضاء الْكَوْنَ مِنْ فوق عَرْشِهِ ... إِلَى الْفَرْش بَلْ تَحْتَ الثَّرى والزَّواجِرِ

وَهَذا خِتَامُ الْقَوْمِ بَابُ شُهُودِهَا ... أَبُوهَا أَخُوهَا وابْنُهَا فِي الأَوَامِرِ

حَلِيفُ التَّدَبجالي الصَّدَى مَنْبعُ الْـ ... ـهُدَى مزِيلُ الرَّدى مَا إنْ لهُ مِنَ مُشَاطِرِ

مَنيعُ الْحِمِى مُرْوِى الظمأ بَحْرُهُ طَمَا ... بِقَدْرٍ سَمَا فَوْقَ السُّراةِ الأكابِرِ

عَظِيمُ الرَّجَا نُورُ الدَّجى فَاتِحُ الْحِجَا ... وَكَهْفُ التجا مَنْ لاَذَ بل كُلِّ حَائِرِ

نسيمُ الصَّبَا أخلاقُهُ حُسْنُه رَبَا ... مُحَيَّاهُ أضوى مِنْ شمُوسِ الهواجر

عَلَى جِسمه الأَنْوارُ حقَّا تَراكمَتْ ... تُشَاهَدُ بِالأَبْصَارِ وفْقَ البْصَائِرِ

وَمَسْـــقِيَةٌ بالسِّـــرِّ والـــبِّرِّ ذَاتُـــهُ ... يَنَابِيعُهـــا فَاضَـــتْ بِغَيْـــبٍ وَظَـــاهِرِ

بِدَايَاتُـــهُ فَـــوْقَ النِّهَايَـــاتِ كُلِّهَـــا ... أَفَـــاضَ عُلُومًـــا لا تُعَـــدُّ لِحَـــاصِرِ

وَمِنْ قَبْلِـهِ مَـا فَـاهَ بِالسَّـطْحِ عَارِفٌ ... وَلا بِالْبِسَـــاطِ الأَحْمَـــدِي وَالنَّـــوُادِرِ

كَمَرتَبَـةِ الأَجْـرَاسِ وَالْبَـابِ وَالَّذِي ... كَتَمْنَـاهُ خَوْفًـا مِـنْ حَسُـودٍ وَضَـامِرِ

وَكُلَّ إنَـــاءٍ بِـــالَّذِي فِيـــهِ نَاضِـــحٌ ... لِهَـــذَا اعْتَقَـــدْنَا أَنَّـــهُ ذُو الْبَشَـــائِرِ

وَأَنَّ إشَـــارَاتِ الَّذِيـــنَ تَقَـــدَّمُواْ ... إِلَيْـــهِ وَمِـــنْ مِشْـــكَاتِهِ كُلُّ نَـــاظِرِ

تَبَحَّـــرَ فِي عِلْـــمِ الْحَقَـــائِقِ بَـــلْ أَرَى ... إلى الْخَـــتْمِ هَـــذَا مُنْـــتَهَى كُلِّ مَـــاهِرِ

بِـــهِ شَـــيْخُهُ نَـــالَ الْمَرَاتِـــبَ كُلَّهَـــا ... بِـــهِ فُتِّحَـــتْ أَبْـــوابُ كُلِّ الْحَضَـــآئِرِ

دَوَاوِيـــنُ مُلْـــكِ اللَّهِ مَـــا بَـــثَّ عِلْمُهَـــا ... سِـــوَاهُ وَمَـــنْ يَقْفُـــو لَه فِي الْمَـــآثِرِ

مَقَامَاتُـــهُ فِي حَضْـــرَةِ الذَّاتِ حُرِّمَـــتْ ... عَلَى غَـــيرِ أُسْـــتَاذِي مَلِيـــكِ الأَوَاخِـــرِ

سَـــفِينَةُ هَـــذَا الْخَـــتْمِ فِي بَحْـــرِ جَـــدِّهِ ... تَسِـــيرُ إلَى مَـــا لا يَمُـــرُّ بِخَـــاطِرِ

لَهَـــا فِي مَيَـــادِينِ الشُّـــهُودِ مَرَاتِـــعٌ ... تَسَـــامَى عَلَى هَـــذَا الْوُجُـــودِ الْمُبَـــادِرِ

وَغَادَرَ كُلَّ العَـــــارفِينَ بِبَابِـــــهِ ... سُكَارَى حَيَارَى مِنْ شُـهودِ الْمُبَـاشِرِ

لَه أذْعَنُـــواْ بَـــلْ أيْقنُـــوا أَنَّـــهُ لَهُـــمْ ... أَمَـــانٌ مِـــنَ الْمَكِـــرِ الْخَفِـــيِّ الْمَغَـــايِرِ

عَلَيْـــهِ رَحَـــا كُلِّ الْبَـــواطِنِ دَوْرُهَـــا ... كَمَـــا إنَّـــهُ سُـــلْطَانُ كُلِّ الظَّـــوَاهِرِ

وَفَـوْقَ مِنَصَّـاتِ الْحَضَـائِرِ قَـدْ عَـلاَ ... وَمِنْهُ اسْتَعَارَ الْفَضْـلَ أَهْـلُ الْمَنَـابِرِ

عَـدِيمُ نَظِـيرٍ فِي الْوجُـودِ بِـأَسْرِهِ ... وَكُلُّ أَمِـيرٍ عِنْـدَهُ كَالأَصَـاغِرِ

فَيَـا خَـتْمَ كُلِّ الْعَـارِفِينَ بِـلاَ مِـرَا ... وَمِـيزَابَ شُرْبِ الأولِيـاءِ الأكَـابِرِ

وَيَا سَيِّدَ الأَغْـوَاثِ يَـا بَـابَ فَيْضِـهِمْ ... وَيَـا أَكْمَـلَ الأَفْـرادِ يَـا ذا الْمَفَـاخِرِ

ذِرَاعُ تُــرَابٍ لا يُوَارِيــكَ سَــيِّدِي بَلِ الْفَيْضُ يَجْرِى مِنُكَ لَوْ فِي الْمَقَـابِرِ

أُمِـرُتُ بِهـذَا الْمـدحِ كَيْ أَسْـتِقَى بِـهِ شَرَابًا طَهُورًا مِنْـكَ يـا نُـورَ نَـاظِرِي

وَمِـنُ قَبْلـهِ أُخْـبِرْتُ أَنَّ جَنَـابَكُمْ سَـقَانِي فَيَـا مَـوْلاَي نَـورِّ سرائـرِي

فُبْشَراي يَـا خَـتمَ الْوِلاَيَـاتِ خُصَّـنِي بِأَعْلَى الـتَّرقي في الْحِجَـابِ الْمُحَـاصَرِ

وَقُلْ لي ابْتَداءُ الْفَتْحِ لاَ شَكَّ عِنْـدَنَا يُوَافِيكَ فَوْقَ السَّطْحِ فَابْشِرْ بِخَاطِرِي

وَقُـلْ أنْـتَ مِنَّـا مُـدْرَجٌ في ذَواتِنَـا فكُنْ قَلْبَنَا وَادْخَل بِنَا فِي الْحضَـائِرِ

رَضِينَاكَ ابْنًـا بَـلْ جَعَلَنَـاكَ نَفْسَـنَا ظُهُــورًا بُطُونًــا في ابتــداء وَآخِــرِ

إلـهي تجلّـى الذَّاتِ بِـالذَّاتِ يـنجلي عَلَى ذَاتِ أسـتاذي رَفِيـعِ الْمَظَـاهِرِ

وَبِالذَّاتِ وَالأَسْمَاءِ وَالْوَصْـفِ مُطْلقًـا صَــلاَةً عَلَى مَــنْ للْبَــوَاطِنِ نَـاظِرِ

إمَــامِ جَميــعِ الْعَــالَمِينَ مُحَمَّــدٍ عَظِـيمِ التَّجَـلِّي في غُيُـوب وَظَـاهِرِ

وَآلٍ وَأصْـحَابٍ مَـتَى قَـالَ مُنْشِـدٌ سَـلاَمُ التَّجـلِّي في رَفيـع الْحَضَـآئِرِ

انتهى الكتاب

وقد توفي إلى رحمة مولاه، سنة ١٣١٦ هـ ، بمدينة سواكن، رحمه اللّه رحمة واسعة.

فهرست كتاب الإبانة النورية